حكاية فرع

كل الحقوق محفوظة

دار لوغاريتم للنشر والتوزيع

رقم الإيداع: 28836/ 2019

I.S.B.N: 978-977-6642-89-8

تصميم الغلاف: أمير عاشور.

الإخراج الفني: ضياء فريد.

المراجعة اللغوية: نهال جمال.

المديـــر العـام: إيناس ناصر.

المدير التنفيذي: شادي أبو شهبة

Logarithpublish@gmail.com

٠١٢٨١٠٥٢٨٢٤

ـ رواية ـ

حكاية فرع

ملك محمد الشامي

إهداء

ابتسمت لي تلك العجوز وقالت:

كل يوم تشترين مني تلك الحلوى ولا أراكِ تشعرين بالسعادة!!تحركت تلك الوجيعة بداخلي وهتفت لها بكل أسى:رحلت قطعة السكر الخاصة بي،رحلت من كانت تقتني لي تلك الحلوى لأشعر بالسكر في فمي،رحلت سعادتي الأكبر في العالم منذ.. 27/2/2017

هتفت العجوز: من هذه السيدة؟

إنها ست الحُسن والحُزن والطيبة،(جدتي الجميلة).

إهداء خاص إليكِ محبوبتي

جوجا.

وجية أحمد علي.

تمهيد

إلى نصفي الآخر:
لقد انتظرتك طويلًا يا عزيزي.

المقدمة

تظل تترنح في الطرق ترتدي فستانًا أبيض يتلطخ بالدماء وشعرها مبعثر حولها، تتنفس بصعوبة وعيناها تزوغ يمينًا ويسارًا، قدماها داميتان، يرتجف جسدها من برودة الجو، إلى أن يأتي صوت مرعب يجمد أطرافها وتتحرك ببطء إلى أن تأتى يد وترمي بها داخل بئر عميقة!

هل ستعيش أم تركتني وذهبت؟

فرح هي بنت في العقد الثاني من عمرها، تتميز بتلك العينين العسليتين الواسعتين الجذابتين، والحجاب الذي يضيف لها جمالًا خاصًا يمتزج بذلك القلب الروحاني الذي يتميز بالوجع والألم.

فرح فتاة ليست متعلمة تعليمًا عاليًا، حاصلة على دبلوم تجارة وليس لديها أحد في تلك الحياة غير أخ يُدعى أدهم بعدما تخلى عنها كل أقاربها، تعمل فرح في مصنع عطور من الساعة 8 صباحًا إلى الساعة 8 مساء.

عندما كانت فرح في عمر الـ 17 كانت تدرس وتعمل وتعتني جيدًا بأخيها والبيت، وعافرت كثيرًا وزاد إصرارها عندما تخلى كل الناس عنها، وعملت وكانت توفر كل النقود ليتمتع أدهم بالتعليم والملابس، وهي لا تعتني بنفسها إلا عندما تبقى نقود بعد أن تكمل مسؤوليات أدهم، والآن أصبح أدهم في ثانية ثانوي.

في مدينة القاهرة تحديدًا في منطقة الحسين (منطقة روحانية وجميلة وبخاصة في أيام رمضان، حيث أشعر بالرضا والدعوات الجميلة والصلاة ووقت الإفطار، هذا الأوقات أحلى لحظات تشعر بها في الحسين.

الساعة الـ 7 صباحًا تستيقظ فرح عندما تعاكسها أشعة الشمس البرتقالية وتداعب شعرها البني و القرص العسلي في عينيها، تستيقظ فرح وتذهب لتتوضأ وتصلي فرض الصبح وتدخل غرفة أدهم لتوقظه.

فرح: أدهم، قوم يا حبيبي يلا هتتأخر على المدرسة.

أدهم يرد بنصف عين بين النوم والاستيقاظ: حاضر يا فرح شوية بس وهقوم بسرعة.

فرح: لا يا حبيبي الساعة 7 وربع، يلا عشان هتأخر على شغلي.

أدهم: يجلس نصف جلسة على السرير ويحتضنها ويقول: ياما نفسي اتخرج بسرعة عشان اشتغل وأخليكي ملكة يا فرح وأعوضك عن كل يوم تعب اتحملتيه عشاني.

فرح بسعادة: أنت التعب عشانك راحة يا قلب أختك، وفرحتي ما بتكملش غير بيك وبفرحتك، يلا بينا.

أدهم: ربنا يخليكي ليا حبيبتي، يلا.

ويذهب كل منهما إلى العمل والمدرسة.

ليس صعبًا على فتاة أن تعمل وتتحمل مسؤولية، ولكن الصعب عندما تعيش في الحياة بلا سند وبلا أمان.

في شوارع القاهرة تذهب فرح لتركب المواصلات، ما يسمى (ميكروباص)، من عاداتها أن تنظر في وجوه الناس لترى الشارد في عالمه، والحزين لسبب ما، والضاحك لموقف طريف، تغمض عينيها وتقول أذكار الصباح إلى أن تصل وتقف أمام المصنع، إنها لا تحب عملها ولكنها تحترمه جدًّا؛ لأنه السبب في الإنفاق عليها هي وأخوها.

أخيرًا جيتي يا فرح!

جملة تنطقها ريماس صديقة فرح المقربة، عرفتها منذ عام عندما عملت في المصنع، ريماس فتاة جميلة بقدر عالٍ، صاحبة عينين زرقاوتين، والبشرة البيضاء الرقيقة والحجاب الفضفاض الذي يجذب إليها كل عين تراها أكثر.

فرح: معلش المواصلات زحمة أوي.

ريماس: معلش يا حبيبتي، المهم يلا بينا عشان المشرفة مش طيقانا لوحدها.

فرح: يلا بينا.

وتذهب لتبدأ عملها في المصنع بقلب يدعو الله أن يفرجها.

على شاطئ بحر الإسكندرية يجلس شاب في أول العقد الثالث من عمره، حزينًا شاردًا في شيء ما لا أحد يعلمه، ولكن دعوني أنظر إليه لأرى تفاصيل ملامحه الحزينة، إنه شاب يتمتع ببشرة خمرية وعينين عسليتين وأنف مدبب ووجه جميل يشبه الأطفال على صورة رجل، يأتي إليه صديقه الحميم ويقول:

مصطفى: وبعدين يا جاسر لحد إمتى هتفضل كدا يا صاحبي؟

ينظر إليه جاسر نظرة ضعف وحزن قاتل ويقول: خلاص يا مصطفى، كل حاجة ضاعت مني، ما بقاش عندي في الدنيا حاجة أقدر أعيش عشانها، أنا أصلًا إيه لازمتي في الحياة؟ بعمل إيه؟ مين عازوني؟ ما بقاش في حد أعيش عشانه.

مصطفى: أنا مش هسمح لك تضيع وتضعف، فين جاسر اللي ما كانش بيبطل ضحك؟ اللي كانت الكلية كلها بتتفاءل بكلامه وروحه وحماسه اللي كانت طنط على طول بتحبه وبتشجعك عليه؟

يأخذ جاسر نفسًا عميقًا وينظر للبحر بعصبية: خلاص يا مصطفى ما بقاش في طنط، أنا السبب في موتها بسبب الحادثة اللي ضيعت عمري كله، خدت أغلى اتنين في حياتي، خدت أمي ومايسة، وأنا بقيت قدامك قاعد على كرسي عاجز ما ليش لزمة في الدنيا، يا ريتني أنا اللي روحت وهما لا، لكن

ما بقتش قادر أعيش وهما مش معايا، أنا بموت يا مصطفى، بموت.

يقترب منه مصطفى ويحتضنه ويقول: اهدا يا جاسر واستغفر ربك، ربنا قادر على كل شيء وله حكمه في اللي حصل، قول الحمد لله.

يمسح جاسر دمعة هاربة من على وجنته ويقول: الحمد لله على كل شيء.

عندما يبتليك الله ببلاء قاسٍ ابحث عن رحمة ربك في ذلك الابتلاء، سوف تعلم أنه خيرٌ لك وليس شرًا عليك.

هو إيه، ما فيش غير ست فرح وأدب وجمال فرح؟ عاوزة أفهم ليه المشرفين جايين في صفها أوي كدا؟

فايزة: ما لناش دعوة يا نعمة، خلينا في شغلنا.

نعمة: يعنى إية هي تاخد الكلام والاهتمام واحنا ولا حد معبرنا؟ حتى المهندس جمال عمال يقرب لها كل يوم عن اللي قبله.

فايزة: يا بنتي هي في حالها ولا بتهش ولا بتنش، كفاية بقى.

وتتركها وتذهب فايزة، فتنظر إليها نعمة وتقول: أبدًا والله، لازم امشيكي من هنا يا فرح، ما هو ما ينفعش تاكلي الجو مني.

تدخل ريماس غرفة المشرفة وتقول: لو سمحتِ يا أبلة شيماء، عاوزة القبض بتاعي أنا وفرح.

تنظر إليها المشرفة بنظرات مفتعلة وتقول: شيماء، مش شيفاني مشغولة دلوقتي؟

ريماس: طيب عاوزين نمشي وعاوزة القبض.

شيماء: طيب خدي.

وتعد النقود وتعطيها لها وتذهب من أمامها ريماس وتقترب من فرح وتتكلم بعصبية وهي تقول:

ست غريبة، يا ساتر يا رب عليها، بتديني القبض أكنه من فلوسها مش من تعبنا وشغلنا.

فرح: اهدي طيب معلش.

ريماس: مالك يا فرح؟!

- مش عارفة، كنت قاعدة ومرة واحدة تخيلت أو حلمت حلم حلو أوي ما اعرفش إيه سببه، بس لقتني ببص للسماء ولأول مرة ما اخافش من الأحلام وافرح بحلم على غير العادة كابوس يصحيني هموت من كتر الخوف

تنظر إليها ريماس بشغف لما تحكيه فرح وتقول بسعادة: طيب احكيهولي يا فرح.

فرح: كنت قاعدة على البحر ومرة واحدة لقيت الدنيا بتمطر، قمت استخبى من المطر لقيت شاب واقف وفاتح إديه الاتنين وبيحضن المطر بكل فرحة وسعادة وبيشم الهوا زي ما يكون عاوزه يوصل الرئتين وتغسل ضلوعه قبل ما تتحكم في شريانه وتبقى بتجري في دمه، لقتني برمي الشال بتاعي وبقرب منه بس وانا بجري لقيته بيبعد، وأول ما جه يمشي وقع كأنه مش عارف يمشي، قربت منة وسندته وقام بصلي بصه أول مرة في حياتي أشوف راجل بيبصهالي، زي ما يكون بيخبيني جواه بيها، أو بيقولي ما تبعديش، إحساس عمري ما عرفته يا ريماس، وفجأة لقتني بمد إيدي بمسح حبات الرمل اللي بهدلت خده، مجرد ما غمض عينه صحيت من الحلم أو من الخيال، بس لو الخيال بيطمن كدا يا ريتني أعيش فيه طول عمري.

ريماس: الله، هو فيه أحاسيس كدا لسه؟

فرح: بتمنى يكون فيه عشان الناس الغلابة اللي زينا تفرح ولو حتى بحلم أو حتى هلوسة خيال.

شيء غريب يحدث الآن، ولكنه من أمتع وأسعد اللحظات التي يمكن أن يعيشها الإنسان، وهو إحساس الاطمئنان والاحتواء.

الأحد ١٠ فبراير.

الساعة الثامنة صباحا.

يخرج جاسر إلى بحر الأحزان دائمًا في هذا الوقت جالسًا على كرسيه المتحرك، كم يكره هذا الكرسي الذي يشعره بـ العجز أمام أقل الأشياء، لم يعد يفعلها، يجلب علبة السجائر ويشعل سيجارة يأخذ منها نفس ويخرجه بقوة كأنه يرمي بكل الأوجاع في الهواء..

ينظر إلى البحر ويتعمق في لهو أمواجه يتذكر..

فلاش باك!

١٠ فبراير ٢٠١٠.

كان يقود السيارة وتتعثر رؤيته بسبب تلك الأمطار التي تهطل بغزارة شديدة، وبجانبه تجلس مايسة أخته، وبالخلف تجلس السيدة عفاف والدته، ويتجه إلى القاهرة بعدما جاءه خبر زواج حبيبته نريمان، ألقى بالهاتف وارتجفت أوصاله وسارع إلى غرفته ليأخذ مفتاح السيارة، ولكن أصرت والدته أن تسافر معه هي وأخته لأنها تقلق عليه في هذه الظروف اللعينة.

بالراحة شوية يا جاسر، الدنيا مش هتطير يا بني.

جاسر: حاضر يا أمي حاضر.

ولكن فجأة تظهر سيارة نقل كبيرة من خلف الضباب وتصطدم في سيارة جاسر، وآخر ما تذكَّره صرخته وهو يقول "أمي".

باك.

تقع السيجارة من يديه والدموع تنزف من عينيه وقلبه على فراق كل ما لديه في الحياة. يغمض عينيه ويقول: وحشتيني يا أمي، سامحيني يا مايسة، سامحيني.

هو أنت فعلًا موجود ولا أنا بتخيل؟!

يبتسم لها الطيف ويهز رأسه موافقة منه على أنه موجود بالفعل، تبتسم فرح له وتقترب منه فجأة، يختفي الطيف أميالًا، تستيقظ فرح من نومها ولا تعلم ما تفسير حلمها، تنظر في الساعة وتغضب:

استغفر الله العظيم، الفجر فاتني، يا دوب اتوضا واصلى والبس عشان الشغل.

ـ صباح الخير يا فرح، عاملة إيه؟

جملة ينطق بها المشرف جمال.

تنظر إليه فرح بقلق وتقول بصوت ضعيف: الحمد لله.

ـ اتأخرتي ليه النهاردا يا ريماس؟

تتلعثم كلماتها وتقول بخوف: معلش يا فندم؛ المواصلات رخمة.

جمال: ما فرح جاية في معادها، اشمعنا مواصلاتها ما كانتش رخمة؟

ريماس: أنا أبعد من فرح، ومش هتتكرر تاني.

جمال: ماشي، يا فرح، خلصي وحصليني ع المكتب.

بعدما ترك المكان تنظر فرح لريماس وتقول: هو عاوز مني إيه؟ مش هخلص من القرف دا يا ربي بقى؟ أنا تعبت.

ريماس: اهدي، مالك كدا؟

فرح: هيفضل يتكلم في موضوع معجب وبحبك والكلام دا، وأنتِ عارفة، أنا غلبانة وعاوزة اربي حتة العيل اللي متشعلق في رقبتي دا، أعمل إيه؟

ريماس: سيبيها لله ويمكن خير، وتوهي يا بنتي.

فرح: هخلص شغلي مش ناقصة خصم.

يدخن سجائره بغزارة، يرسم دخانه خيوطًا عنكبوتية تشبه قلبه، ويقول لنفسه: ما أنا مش هسيبك يا فرح، ما فيش بنت ف المصنع ما كانتش تحت طوعي، ازاي أنتِ تعصيني كدا؟

بس يا أنا يا أنتِ يا فرح، أنا هعرفك ازاي ترفضي جمال، بس أنا مستمتع؛ صيد صعب بس فريسة أجمل، وهي بصراحة جامدة وعجباني، الصبر حلو يا فرح.

يسمع طرقات على الباب تنتشله من تفكيره الشيطاني: ادخل.

تدخل فرح: نعم يا أستاذ جمال حضرتك عازوني في إيه؟

يحوم جمال حولها ويتفحص جسدها ويقول: أنا قلتك قبل كدا إني معجب بيكي وبحبك وأنتِ سكتي، ما سمعتش رأيك يعني؟

تنظر إلى الأرض وتقول: حضرتك أنا لا بتاعة حب ولا كلام من دا، أنا بشتغل وبس هنا، في حاجة تانية عاوز تقولهالي؟

ومين قالك إني عاوز حب ولا لا؟ أنا عاوز جواز، يعني حلال.

فرح: هتتجوزني وأنت عارف ظروفي؟

جمال: أيوه طبعًا، أنا بحبك يا فرح، بحبك.

فرح: خلاص تعالى قابل أهلي.

جمال: لا أنا ظروفي لسه مش كويسة، احنا هنتجوز عرفي!

يستمع جاسر إلى أغنيته المفضلة (أهواك بلا أمل)

لمحبوبته المفضلة فيروز،يدخل عليه صديقه: يا سلام ع الروقان.

يبتسم له جاسر: إيه اللي جابك؟

مصطفى: يا سلام ع الذوق، أنا لو قتلتك هريح البشرية.

جاسر: ما تقدرش يا حبي.

مصطفى: طبعًا، دا أنت القلب.

جاسر: بس أحسن حد يشوفنا.

مصطفى: هههه العيال نايمين يا روحي.

جاسر: يخرب بيتك اسكت هشك ف نفسي.

مصطفى: وماله مش عيب.

جاسر: برا يا مصطفى هشتمك.

مصطفى: نتكلم جد بقا. الدكتور عاوزك تروح له عشان في حاجات لازم يكلمك بيها ضروري يا جاسر.

تختنق ضلوع جاسر وينظر إلى مصطفى بحزن: حاضر يا مصطفى هروح له حاضر.

يقترب منه مصطفى ويقول بصوت يكاد أن يُسمع من حزنه على صديق عمره: خير يا جاسر ما تقلقش، ربنا رحمته واسعة.

ينظر جاسر إلى السماء ويقول: يا رب.

”عرفي؟!»، كلمة تنطق بها فرح في صدمة ما بعدها صدمة.

يقترب منها جمال ويقول: لحد ما ظروفي تتحسن بس.

فرح: الظاهر إنك خدت على الزبالة، ما بقتش تعرف تفرق بين بنات الناس وبنات الشوارع، استقالتي هتكون عندك والله الغني عن لقمة العيش المغمسة بالحرام عندكم، ومن غير سلام، ما تستاهلش.

تتركه فرح في قمة غضبه وترحل بلا رجعة لهذا المصنع.

تترجل فرح في شوارع القاهرة من الصباح تفكر فيما وصلت إليه ودموعها تصاحبها كـ الظل الحميم، تشعرها بالدفء على الرغم من وجع قلبها وحرقة عينيها، إلا أن دموعها الآن أصبحت تشعر بها وتبكي معها؛ لأنها تعلم أن فرح ليس لها أحد غير الله.

”أنا هفضل كدا يا رب؟! ليه بس بيحصل فيا كدا؟ دا أنا ماشية جنب الحيط، ولا حتى الحيط بقا كتير على اللي زيي؟ يا رب أنت عالم إني مش زعلانة على رزقك ليا، بس أنا موجوعة، قلبي هيقف يا رب من كتر الهم ومن نظرة الناس اللي بتعري اللي متغطي بقشاية، فينك يا بابا؟ كنت سند ليا، من بعدك ضهري انحنى وكله طمع في بنتك، نفسي اترمي في حضن أمي زي زمان واعيط وانام في حضنها، واصحى متطمنة، نفسي ما اخافش يا رب وأنا نايمة من الكوابيس

نفسي، يا رب الدنيا كلها جاية عليا، بس أنا متعلقة في جناحك يا رب ومش خايفة، أنتَ ظلي، أنتَ سندي، الحمد لله، استرني يا رب وابعد عني ولاد الحرام.

"يووووووووووه بقى، أنتِ فين يا فرح لحد دلوقتي؟"، كلمة ينطق بها أدهم في قلق واضح على ملامحه إلى أن ينظر إلى الباب الذي انفتح فجأة، وظهرت أخيرًا فرح ويبدو عليها التعب.

ـ مالك يا فرح؟ وكنتي فين؟

تنظر إليه فرح، قلبها يتألم كثيرًا، كيف لها أن تقول له تركت العمل الذي ينفق علينا والآن ليس لدينا دخل؟! أخذته في حضنها ومسحت على جبينه: ما فيش يا قلب اختك، أنا بس كان عندي ضغط شغل واتأخرت شوية، ما شفتش التليفون سامحني.

أدهم: أسامحك إيه بس يا قلبي؟ أنا بس بقلق عليكي يا حبيبتي عشان كدا بخاف بس مش أكتر.

فرح: عارف يا أدهم؟ أنا ما طلعتش من الدنيا دي غير بيك أنت، مش عارفة لو ما كنتش معايا كنت هعيش ازاي.

أدهم: كنتي هتعيشي كدا.

ويميل بجسده ويضحك لها.

تبتسم له فرح وتأخذه في حضنها وتقول: أنت رخم بس بحبك.

ـ "وأنا عم بموت فيكي، شو هيدا القمر".

فرح: هههه بتعاكسني يا واد أنت؟

أدهم: هو فيه أحلى من فرحتي أعاكس فيها؟

فرح: طيب يلا يا بكاش هقوم احضر الأكل.

أدهم: لالالا، أنا حضرت الأكل، يلا قومي غيرى هدومك.

ـ ماشي يا قلبي يلا بينا.

تقف فتاة أمام المنزل وتضغط الجرس، يفتح لها شاب في مقتبل الثلاثينات.

ـ مين حضرتك؟

ـ لو سمحت دي فيلا جاسر عبد الرحمن؟

ـ أيوه هي، أنتِ مين؟

ـ أنا فرح عثمان!

في ليلة الأمس بعدما أكملت فرح وأدهم الطعام جاء إليها عم محسن، طرق الباب ورحبت بقدومه فرح كثيرًا، عم محسن خال فرح، ولكنه رجل عجوز لا يقدر على رعاية فرح؛ لذلك لم تعش معه لأنه يعيش عند أولاده.

ـ ازيك يا خالي؟ عامل إيه يا حبيبي؟

ـ أنا الحمد لله يا فرح، المهم أنتو كويسين؟

أدهم: الحمد لله يا خالو، بتغيب علينا ليه بقا؟

عم محسن: معلش يا أدهم أنا كبرت وما بقتش حمل سفر كل فترة من الشرقية لهنا، المهم أنا جايلك يا فرح في موضوع مهم أوي.

فرح باستغراب: خير يا خالي فيه إيه؟!

عم محسن: فيه ورث لأمك عند أهل أبوها، وأما بعدت مع أبوكي وجات إسكندرية ساعة جوازهم نسيوا كل حاجه تربطهم بالشرقية بعد ما جدك رفض يجوزها أبوكي عشان يجوزها لابن عمها، والأرض ما تروحش لغريب، لكن أمك رفضت وكانت بتحب أبوكي، فمشيت معاه واتجوزها وعاشوا في إسكندرية لحد ما جيتي أنتِ وجه على وشك شغل حلو لأبوكي، سافر القاهرة وكمل اللي باقي من عمره هنا، بس ما حدش خالص فكر في موضوع الورث دا، ابن عمك الكبير خلف عبد الرحمن وما جابش عيال غيره، وقبل ما يموت ما جابلهوش سيرة عن أي ورث ولا عن أي حد من العيلة، ومن 10 سنين مات عبد الرحمن وساب بنت وولد، جاسر ومايسة، وأمهم ست طيبة جدًّا، أنا جبت لك العنوان أهه، روحيلهم، ما كنتش اعرف أي حاجه عنهم غير من خبر في الجريدة عن جاسر، العنوان معاكي، روحي يا فرح ودوري على حقك، أنتِ وأخوكِ محتاجين الفلوس أكتر من أي حد، ودا يا بنتي شرع ربنا، ما تفرطيش في حقك يا فرح.

ـ اعمل إيه بقى؟ أنا من بعد ما مشي خالي محسن لبست وجيت لك.

ريماس: هتعملي إيه! دي محتاجة سؤال؟ هتروحي طبعًا وتطالبي بحقك يا بنتي، أنتِ ليكي ورث من جدك، يعنى حق قانوني وشرعي، وأي حد يرفض ترفعي قضية وهتكسبيها.

ـ أنا مش عاوزة مشاكل يا ريماس، أنا لما بصدق بس ابقى في حالي، هجيب لروحي مشاكل وقضايا ومحاكم؟

ـ فرح، جمدي قلبك يا حبيبتي، ومن بكرا تروحي تسألي على حقك وتشوفي هيجرا إيه، مش جايز يكونوا كويسين ويدهولك؟ قولي يا رب بس.

تنظر فرح إليها، وبعدما تنظر إلى صورة والدها تقول: يا رب أنت اللي عالم بحالي يا رب.

عندما تعيش في الحياة بدون ظهر تتسند عليه تكون مثل (القشاية) التي تترنح بفعل الرياح وتكاد تنكسر في أي وقت، هكذا الضعف، يكون دخانًا يجري في دمائك إلى أن يؤدي إلى اختناق القلب والروح.

ـ استني ثواني، هقول لأستاذ جاسر إنك هنا.

فرح: لو سمحت هي والدة أستاذ جاسر مش هنا؟

الشاب: لا، والدة الأستاذ جاسر اتوفت هي واخته في حادثة، عن إذنك.

تختنق فرح بشدة وتريد البكاء، الآن أصبح يعيش وحيدًا، كيف له أن يكون مثلها؟ ليس لها أحد في الحياة غير نفسها، "اهدي يا فرح، وأول ما يجي تدخلي في الموضوع على طول من غير مقدمات، تمام؟»، (فرح لنفسها).

يأتي إلى الهول مصطفى وبصحبته جاسر تنظر إليهم فرح وتتكلم مع مصطفى لتتخيل أنه جاسر!

فرح تنظر إلى مصطفى: أستاذ جاسر أنا...

مصطفى: أنا مصطفى صاحب جاسر، أستاذ جاسر اهو.

تنظر إليه فرح وينقبض قلبها وتدمع عيناها تلقائي، تخفض بصرها إلى أن يأتيها صوت رجولي ولكنه حنون بعض الشيء.

جاسر: أنتِ مين؟

تأخذ فرح نفسًا عميقًا وتتذكر.

فلاش باك..

- وأنت عرفت ازاي يا خالي؟
- خدي الجرنال وأنتِ هتفهمي.

فرح: مطلوب ممرضة لعائلة جاسر عبد الرحمن.

باك..

تنظر إليه فرح وتغمض عينيها: يعني هو كان طالب ممرضة عشانه هو مش عشان والدته زي ما فهمت، أعمل إيه يا ربي؟

يخرجها جاسر من أفكارها على صوته بنفاد صبر: "أنتِ مين؟ هفضل اسألك كتير!

تستمد فرح شجاعتها من جمود صوته وتقول بصوت عالٍ: أنا الممرضة اللي طلبتها، أقدر استلم شغلي من إمتى؟

تدخل نعمة مكتب المشرف جمال وتقول: طلبتني يا أستاذ جمال.

ينظر إليها من رأسها إلى أخمص قدميها متفحصًا جسدها، تلمع عيناه لنظرتها الجريئة ويقول: تعالي يا نعمة عاوزك، اقفلي الباب.

نعمة: من عنيا.

تغلق الباب وتقترب منه وتميل بجسدها عليه لتختلط أنفاسها بأنفاسه، وتقول: كدا كويس ولا أقرب اكتر عشان اسمعك؟

تشعر بـ اشمئزاز رهيب عندما ترى فتاة أقل ما يمكن أن يقال عنها إنها عاهرة بالفعل من تصرفاتها، وتشعر بالفخر عندما ترى فتاه كل من يعرفها يقسو عليها، وعلى الرغم من ذلك لن تفرط في شيء منها، حتى الكلمة تحافظ عليها قبل خروجها من فمها.

تخرج ريماس من العمل مبكرًا عن كل يوم بسبب تلك الأفعال التي تراها تحدث من جمال ونعمة، ومن نظراته الذي تمزع ثيابها وتعري جسدها أمامه، تترجل في الشوارع ودموعها تسيل على جبينها إلى أن تتلاشى رؤيتها من أمام عينيها، تخطو بقدميها لتدخل أول تقاطع، تقترب منها سيارة وتصطدم بها، تقع ريماس على الأرض، وآخر ما تنظر إليه نظرات هذا الشاب التي يظهر عليه علامات الخوف، لا تعلم ريماس لماذا شعرت بالأمان على الرغم من أنه هو من فعل بها هذا، لكنها تغمض عينيها وتغيب عن الواقع.

أحيانًا تكون نظرات الغريب بيتًا يعتني بنا ويُشعرنا بالأمان، في حين أن نظرات القريب تجردنا من ثيابنا ومشاعرنا وتشعرنا بالخوف.

في بيت جاسر عبد الرحمن تجلس فرح تشعر بالخوف والقلق من القادم عليها من المجهول لديها، مِن الوقت، مِن الرجل الذي يجلس أمامها وتخرج من عينيه نظرة يأس وحزن لم تشعر بهما من قبل، حتى عندما قارنت بين نظرته وبين كل لحظة بكت فيها ترى كف تربت عليها وتخبرها أنها مجرد موجة مهشمة في بحره الغامض، ثم ينطق كلمة يخرجها بها من أفكارها.

جاسر: آنسة فرح، أنتِ هتكوني الممرضة بتاعتي، تقيمي هنا مع الدادة أم منة ولا هتيجي الصبح وتمشي بليل؟

فرح بتلعثم: لا الأحسن آجي وامشي؛ لأن أخويا الصغير لازم ابقى معاه على طول.

جاسر: لو تحبي يبقى معاكي هنا أنا ما عنديش مانع، زي ما أنتِ شايفة البيت كبير وما فيهوش أي حد غيري أنا والشغالين، ومصطفى على طول هنا لكن مش مقيم.

تنظر إليه بنظرة رضا لم تنظرها لأحد من قبل، تأكدت فرح أنه لا يعلم من تكون ولا يعلم شيئًا بخصوص ورثها، جاسر ليس من الرجال الذين يحبون أخذ أموال الناس وهدر حقوقهم، إنه ملاك ولكنه يائس، حزين، مهشم قلبه، حزين، لم تنجح عيناه في إخفاء هذا المشاعر أبدًا، عندما يتحدث تشعر أن صوته حبل النجاة لكل حزنك، وعندما يصمت تشعر أنه في أمس الحاجة إلى المساعدة.

ـ هات فرح المكتب ورايا يا مصطفى لو سمحت.

تفيق ريماس في المشفى، تمسك رأسها والرؤية أمامها ليست واضحة، ثم شيئًا فـ شيئًا تستعيد توازن بصرها وترى بوضوح، تنظر في أنحاء الغرفة فترى شابًّا خمريًّا نائمًا على الكرسي بجانبها، ويضع رأسه على حافة السرير بجانبها، وينظر إلى النافذة التي تمكن الهواء المنبثق منها من تطاير خصلات شعره البنى الكثيف، ويداعب عينيه المغمضة بإرهاق يبدو عليه.

مدت ريماس يديها إلى ذراعه ولمسته بسرعة وصمتت فلم يستيقظ، فعلت نفس الشيء مرة ثانية ولكنه أيضًا لم يستيقظ، ففكرت في شيء ما.

أخذت كوب الماء الذي بجانبها وشربت بعض القطرات منه، ومرة واحدة نظرت إليه وتركت الكوب من يديها ليرتطم بالأرض ويحدث ضجة مفزعة، يستيقظ الشاب في فزع شديد وينظر إليها ويقترب منها: أنتِ كويسة؟ حصل فيكي حاجة؟

تنظر إليه ريماس وترى في عينيه خوفًا لم تره من قبل، فندمت على ما فعلته به.

ـ آسفة، بس كوباية المياه وقعت غصب عني، أنت مين؟

ـ أنا آسر اللي خبطتك وجبتك المستشفى.

ريماس: غريبة إن حد يخبطني وما جريش يعني!

آسر: مش كل الناس وحشة، الحمد لله إنك بخير، الدكتور طمني وقال تقدري تخرجي من بكره الصبح.

ـ أنا هفضل معاكي لحد ما اوصلك واتطمن إنك بقيتي بخير، ولو عاوزة تعملي محضر دا من حقك.

تنظر إليه ريماس في لوم شديد: محضر إيه؟ أنت كتر خيرك أصلًا إنك جبتني هنا، وفضلت معطل روحك عشاني، وأنا أصلًا اللي غلطانة مش أنت؛ لأني كنت ماشية بعيط ومش شايفة الطريق.

يقترب منها آسر ويجلس: بتعيطي ليه؟

ريماس: ما فيش، صاحب الشغل إنسان مش كويس وعلى طول بيخنق أي بنت تشتغل لو ما عجبهاش كلامه وتلميحاته القذرة، المهم صاحبتي سابت الشغل بسببه لأنه طلب يتجوزها عرفي لما لقاها كويسة ورافضة أي كلام بينهم، ولما مشيت ابتدا يحوم حوالين أي بنت، ما استحملتش ومشيت.

يبتسم لها آسر ويقول: قدر الله وما شاء فعل، أنا آسر محروس صاحب مصانع المحروس، إيه رأيك تشتغلي معايا؟

ريماس: ربنا يخليك بجد أنت إنسان محترم جدًّا.

آسر: وأنتِ ربنا بيوقف لك ولاد الحلال لأنك بنت نضيفة من جواكي ورافضة أي حاجة سهلة عشان احترامك لنفسك.

تدخل فرح إلى البيت وتنظر إلى أدهم الجالس على مكتبه يذاكر دروسه في نشاط، تجلس بجانبه وتنظر إلى اللا شيء.

أدهم: مالك يا فرح فيه إيه؟

تنظر إليه فرح وتبكي.

فلاش باك..

في مكان تاني، تحديدًا في (باريس) داخل المكان الذي نرتعب منه ونخاف على من يدخل إليه وندعوا لهم دائمًا أن ينجيهم الله، مستشفى (....).

الممرضة(مترجم): هناك حالة طارئة، اطلبي الدكتور محمد بسرعة.

بعد وقت ليس بكثير يأتي دكتور محمد: ماذا يحدث؟

الممرضة(مترجم): هناك حادثة مخيفة حدثت وأصيبت امرأه حامل وهي في وضع خطير.

الدكتور محمد: بسرعة جهزوا غرفه العمليات.

بعدما حكت فرح لـ أدهم ما حصل في فيلا جاسر عبد الرحمن ظلت تبكي وتقول: ما قدرتش اقوله جاية آخد منك حقي، جاية اوجعك أكتر إن باباك حرامي وسرق فلوسي. ما اعرفش ليه حسيت لساني اتشل بدل رجليه يا أدهم، ازاي هكمل واشتغل عنده بالشكل دا؟ أنا أصلًا ما بعرفش ابص ف عينه، شكله صعب وعِندي أوي، مش هعرف اتعامل معاه.

أدهم: لا هتعرفي يا فرح؛ أنتِ قوية ولازم تشتغلي لأنك سبتى شغلك، اعتبريه زيه زي أي حد، وأنتِ من أيام بابا الله يرحمه وأنتِ بتعرفي تمرضي حلو، وكويس إن هو ما طلبش خبرة أو شهادات، جاسر ممكن يكون ما يعرفكيش، بس أنتِ عارفة إنه ابن عمك وفى محنة وأنتِ كنتِ بتعلميني إن الغريب لو محتاج لك يا أدهم ساعده وأجرك عند ربنا، أنتِ كمان اعملي بـمبادئك وساعدي جاسر لأنه من أهلنا.

فرح: ازاي وأنا مش بعرف اتكلم معاه ولا ابص في عينه؟ بخاف يشوف في عنيا حقيقتي وإني كدبت عليه.

أدهم: أنتِ ما كدبتيش، أنتِ فعلًا ممرضة وهو أصلًا ما يعرفش إنه ابن عمك، اقوي يا فرح وكفاية ضعف عشان خاطري.

فرح بتفكير: طيب هتيجي تعيش معايا هناك ولا تفضل هنا واخلص شغلي كل يوم واجيلك؟

أدهم: الأفضل نبقى هناك عشان تعرفي تفهمي جاسر وتخرجيه من حالته، وكمان أنا عاوز اشوفه، أنتِ عارفة ما لناش حد خالص وأنا حبيته من كلامك عنه بصراحة.

تنظر إليه فرح في سعادة: خلاص جهز حاجاتك وهروح بكره أول يوم وهقوله ع القرار دا.

نتذوق الوجع في مرارة عندما نشاهد من لا يعرفنا يشعر بنا وبمشاعرنا، وأقرب شخص لقلبنا لا يشعر بـ شلال الدموع بداخلنا.

تغني العصافير صباحًا على نافذة غرفه فرح لـ تستيقظ وهي تبتسم وتنظر للنافذة المغلقة، تنظر في الساعة، إنها السابعة صباحًا، تدخل لـ تتوضأ وتصلي بعدما أتمت صلاتها ارتدت فستانًا فضفاضًا من اللون الأسود والأبيض رقيقًا، وارتدت حجابها الطويل، ثم تنظر لترى أدهم نائمًا، تغلق باب المنزل خلفها وتتجه إلى فيلا جاسر عبد الرحمن لتبدأ عملها الجديد وهي عازمة على أنها لن تتخلى عن جاسر إلا بعدما يشفى.

ـ ما تاخدش السجاير برا يا مصطفى، أنا مش هطلع دلوقتي.

ـ ليه بس يا جاسر؟ هنطلع نغير جو بلاش خنقة.

جاسر: شويه ونطلع، بس لسه صاحي ومش حابب اطلع.

مصطفى: طيب هتفضل قاعد في الأوضة الضلمة دي كتير؟

قبل أن يرد جاسر عليه تنير فرح الغرفة وتقول: صباح الخير.

ينظر إليها جاسر باستغراب، كيف تعطي لنفسها الحق وتدخل هكذا بدون أن يطلب هو منها هذا؟!

يبتسم لها مصطفى ويقول: صباح الفل، عاملة إيه؟

فرح: أنا تمام الحمد لله، الساعة كام لو سمحت؟

مصطفى: الساعة 8 بالظبط.

فرح: أستاذ جاسر معاد الشاور بتاعك والنزول للجنينة عشان تفطر، 10 دقايق وهطلع تاني ألاقي حضرتك جاهز، عن إذنك.

يضرب جاسر الكرسي وينظر لـ مصطفى بـ غضب: هي بتتصرف من نفسها وبتأمرني كمان؟ أنا مش عاوزها هنا يا مصطفى مشيها.

يربت على كتفه مصطفى ويقول: جاسر، افهم الكلام

من نظرة تانية، هي ممرضة، يعني بتعمل اللي ف مصلحتك، وهي ما غلطتش ولا بتديك أوامر ولا حاجة، كل الحكاية إنها بتعمل شغلها، اهدا بقى ويلا قوم خد شاور عشان تنزل، قدامك 9 دقايق.

جاسر: أنت بتنرفزني يا مصطفى!

يضحك مصطفى ويقول: لا والله بفرفشك، بس يلا بينا.

تجلس فرح في (الجنينة) وتنظر لـ الورود وتستمع لصوت العصافير، ولكن تخطف نظرها منطقة عبارة عن بركة مياه تضخ من كل الجوانب، تشبه شلالًا صغيرًا، ويلتف حوله نوع فاخر جدًّا من زهرة التيوليب الرقيقة تعطي المكان منظرًا كأنه لوحة فنية أبدع الرسام في خيالها، تذهب إليها وتجلس على حافة الشلال وتقول بصوت مسموع: الله!

ـ عجبك المكان؟

تنظر إلى مصدر الصوت بخوف وتغمض عينيها وتقول: اه حلو.

جاسر: تمام أنا جاهز اتفضلي هاتي الدوا.

فرح: الأول تفطر كويس وتشرب العصير بتاعك.

جاسر: ماشي.

يمد يديه ليأخذ علبه السجائر ويشعل واحدة، تنظر إليه فرح في غضب وتقول: يعنى بمنع أديك العلاج عشان غلط قبل الأكل تقوم تشرب سجاير على الريق كدا؟

وتذهب لتأخذها وترميها على الأرض وتضغط عليها بقدميها لتسحقها.

ـ أنتِ مجنووووووووووووونة؟

كلمة يصرخ بها جاسر في لحظة غضب لم يشاهد هو نفسه فيها من قبل، يأتي مصطفى على صوته الجهوري ويقول: فيه إيه مالك؟

جاسر بغضب: مش عاوزها هنا تاني، فاهم؟ ما تقعدش هنا دقيقة زيادة يا مصطفى، فاكرة نفسها مين؟ بتخطف السيجارة وتطفيها.

تنظر إليه فرح دامعة العينان بجسد متجمد من آثار خوفها، وتقف كـ التمثال ولا يتحرك فيها شيء غير مجرى الدموع التي تتزاحم على وجنتيها كـ شلال المياه الذي كانت تقف بجانبه منذ قليل.

ينظر إليها جاسر ويرى ملامحها والخوف يبدو عليها ويرى دموعها، فيشعر بغصة في قلبه وينظر إليها فيراها تمد يديها وتجفف دموعها وتنظر إليه بـ عينين حادتين كـ الصقر: الفطار جاهز يا جاسر بيه، عن إذنك هجيب الدوا

غادة: امال فين فرح يا بنتي؟ بقالي فترة ما شفتهاش.

ريماس: مش عارفه والله بقالي يومين ما كلمتهاش بس هكلمها.

غادة: أنا وحشتني أوي من آخر مرة اتقابلنا ما شفتهاش.

ريماس: الدنيا مش سيباها في حالها يا غادة، ما بتصدق تاخد نفسها وحتة العيل اللي متعلق في رقبتها وهي رافضة أي جواز لحد ما يتخرج أدهم عشان ما يحسش إنه عالة على جوزها، فرح دي آية من كتاب ربنا، أنا والله ما طلعتش من الدنيا دي غير بيكم.

ـ وأنتِ عاملة إيه يا غادة؟

غادة: أنا تمام، مش كريم رجع من السفر من كام يوم وروحت عند خالتي عشان اشوفه هو وطنط ومراته.

تنظر إليها ريماس بحزن: وهما عاملين إيه؟

غادة: مراته تعبانة أوى يا ريماس، ما اكدبش عليكي، عمرنا ما كنا صحاب بس لما شفتها قلبي وجعني عليها، وهو يا عيني مطفي كدا، كريم بيحبها أوي وأكيد موجوع عليها.

ريماس: وأنتِ يا غادة لسه بتحبيه؟

غادة تغمض عينيها وتقول: دا كريم يا ريماس، حب الطفولة، اتولدت على إيديه، كان بيعلمني الكلام والمشي، كان بياخدني ف حضنه لو حد ضربني ف المدرسة، ولما كبرت وفتحت عنيا على الحب في تانية ثانوي كان هو خلص

كلية، ولما اتاكدت إني بحبه قُلت هقوله زي الهبلة، ما أنا بقوله كل حاجة، لقيته متشعلق في إيدي وفرحان وبيقولي أخيرًا هيخطب جميلة بنت خالي اللي متربية معانا، عارفة؟ أنا يومها روحي ماتت واتدفنت، ومن ساعتها وأنا عايشة على ضحكة كريم ولمعة عينه اللي بتحضن وتضم جميلة، وبدعي له ربنا يسعده، بس لما شفت جميلة قلبي اتوجع وخفت عليها كأنها أختي أنا، مش اللي خدت مكاني، والله ما عارفة يا ريماس مكاني ولا هو مكتوب لـ جميلة، المهم هتروح تكشف بكره ونتطمن عليها قبل ما يسافروا.

تنظر إليها ريماس بعينين دامعتين وتتمتم: يا رب صبرها على الوجع دا.

نخفي ما يعتمل في قلبنا لمجرد سعادة أشخاص آخرين، فما داموا سعداء فليذهب اختناق أنفاسنا ونزيف قلوبنا إلى الجحيم.

في إحدى مناطق باريس الخيالية داخل عقار مميز يجلس دكتور محمد يشاهد مباراة على الـTV، فتأتي إليه والدته وتتحدث معه.

والدته: مصر وحشتني يا محمد كفاية بقا غربه 5 سنين، أختي وحشتني، عاوزة ارجع.

ينظر إليها بقلق: حاضر يا أمي، بس خير حد زعلك هنا؟

والدته: لا والله يا محمد بس حاسة إني مخنوقة هنا، الجو والناس وببقى لوحدي وأنت على طول برا؛ فحاسة إني لوحدي.

يقترب منها ويطبع قبله على جبينها: آسف يا أمي، ما أقصدش أهملك، بس والله غصب عني، وعنيا ليكي حاضر هقطع تذاكر ونزور خالتي، واحتمال أنظم شغلي وما نرجعش تاني.

والدته: بجد مش هنرجع تاني؟

محمد: إيه دا؟ أنتِ زهقتي مني بقى؟

والدته: لا والله بس مصر وحشتني.

ينظر إليها محمد وتخيم على عينيه لمعة حزن ويقول: وحشتني أنا كمان يا أمي.

تقسو الحياة عليك لأنك وحيد، ولكنك تتألم كثيرًا عندما يجرحك من تخاف عليه من الخدش.

تدخل فرح إلى المطبخ ودموعها تسبقها تحضر الفطار إلى جاسر، ترفع عينيها إلى السماء وتقول: يا رب أنا هنا عشان أساعده يقف على رجليه، قويني يا رب أقدر استحمل وما اضعفش وأسيبه في نص الطريق، يا رب قدرني أكمل للآخر،

وبعدها أوعدك مش هطلب منك غير رضاك وسترك عليا، قويني يا رب.

يطمئن قلبها الآن كثيرًا، وكيف لا تطمئن وهي تشكو إلى الحق؟! تبتسم من شكل صينية الطعام التي أعدتها بعقل شارد، ولكنها ظهرت في صورة مثالية، تأخدها وتذهب إلى حيث يجلس جاسر (الجنينة).

ـ ليه يا جاسر عملت كدا؟ شكلها بنت محترمة وطيبة، شفت عنيها وهي مدمعة بسببك؟ حتى دي هتكون سبب في وجعها؟ مش كفاية اللي مات بسببك؟ بس غريبة، شفت في عينها نظره قوه ما شفتهاش في بنت ممكن تكون بتعيط وبعدها تقوى كدا! غريبة أنتِ يا فرح، غريبة زي الكون اللي عايشين فيه!

تقترب فرح حيث يجلس جاسر وتضع صينية الفطار وتذهب دون لأن تنبت ببنت شفة واحدة، ينظر إليها إلى أن تتلاشى من أمام عينيه، فيقول: أنا آسف ما تزعليش مني، آسف إني سبب النظرة اللي في عنيكي دي.

يصل أدهم إلى فيلا جاسر وبمجرد أن يدخل الهول ينظر إلى جاسر الجالس على كرسيه الذي طالما كرهه، وكان هو مشغولًا في الأوراق التي يعبث بها يمينًا ويسارًا، يقترب منه ويصدر صوتًا ليلتفت إليه جاسر في استغراب ويقول بصوت حاد: أنت مين؟

ينظر إليه أدهم ويتذكر كلام فرح عنه، فيبتسم له ويقول: أنا أدهم أخو فرح.

ترتخي ملامح وجه جاسر ويبتسم بدوره ويقول: أهلًا بيك اتفضل.

يقترب منه أدهم ليجلس، ولكن تأتي فرح بصوت حاد هي الأخرى تقول: تعالى يا أدهم.

يذهب إليها أدهم في استغراب، فتنظر إلى جاسر وتقول: ساعة وهاجي لحضرتك أوضتك تكون هتنام عشان معاد الحقنة بتاعتك، عن إذنك.

وتأخد أدهم وتترك الهول في ذهول من جاسر.

الآن الساعة الثانية عشرة بتوقيت القاهرة، تصل الطائرة رقم 233 إلى مطار القاهرة الدولي الآتية من فرنسا، يترجل الركاب من الطائرة إلى الجوازات لفحص الأوراق. يقف محمد ينظر إلى كل شبر في المطار كأنه يقول لكل ما تقع

عليه عيناه "وحشتني جدًّا"، حان الآن موعد الخروج من ساحة المطار إلى شوارع القاهرة الجذابة ليلًا، يأخذ تاكسي هو ووالدته ويترجلون إلى حيث يريدون.

يدخل مصطفى غرفه جاسر وينظر إليه، يرى جاسرًا يجلس على حافة السرير وينظر إلى اللا شيء، وفى عمق غريب لم يره من قبل في هذه الحالة، اقترب منه وقال: جاسر! ينظر إليه جاسر بدون أن ينبت ببنت شفة واحدة، مما يثير خوف مصطفى عليه أكثر، فيقول: مالك يا بني في إيه؟

ـ مش عارف اتعامل مع فرح، بقت غريبة، أول ما شفتها كانت طيبة أوي وساكتة، لكن دلوقتي فيه حدة وقسوة في عنيها تقلق، أخوها جه، أول ما جه ندهتله وخدته ومشيت مش فاهم ليه.

يضحك مصطفى ويقول: أنت عاوزها بعد ما بهدلتها تبقى بتعاملك حلو؟ يا عم بلاش افترا، أنت اتعصبت عليها جامد وما كانتش غلطت، حاول تعتذر لها.

ـ أنت بتستهبل يا مصطفى؟ اعتذر لها على إيه؟

ـ على إهانتك ليها يا جاسر.

قبل أن يرد عليه جاسر يسمعان طرقات خفيفة على باب الغرفة، يقول جاسر بصوت حاد من أثر عصبيته: "أدخل"، تفتح فرح الباب وتنظر لهما بابتسامه يتعجب لها جاسر.

ـ أستاذ مصطفى، بعد إذنك معاد العلاج.

يبتسم لها مصطفى ويتركهم معًا، تبدأ فرح بتعبئة الحقنة وهو ينظر إليها لا يتركها، تلتقي الأعين، لا تعلم فرح كم مر من الوقت، ولكنها تشعر بـ احتواء الكون يحتضنها الآن، لم يشعر جاسر بنفسه إلا وهو يبتسم لها ويقول: لسه زعلانة مني، صح؟

تنظر إليه فرح وتقول: لا مش زعلانة، وإلا كنت مشيت من هنا.

ترفع فرح كم القميص لتتمكن من إعطائه الحقنة،.

ـ يعني ممكن لو زعلتك تسيبي الفيلا وتمشي؟

نظرت إليه فرح نظرة طويلة وقالت: لا، بس هاخد موقف.

يضحك جاسر ويقول: موقف؟ اممم ماشي يا فرح، يلا اديني الحقنة.

تنظر إليه: ما خلاص ادتهالك!

ينظر إليها وإلى الحقنه المفرغة في يديها: أنا ما حستش بيها، تخيلي!

تنظر إليه فرح بـ فخر وتقول: طبعًا، دا أنا إيدي تتلف في حرير.

يضحك جاسر بصوت مرتفع ويقول: يا سلام على الثقة والتواضع يا ناس.

تطيل فرح النظر إليه وهو يضحك بصوت مرتفع، فمنذ أن جاءت إلى الفيلا لم تسمعه يضحك، وقليلًا ما ابتسم.

يشير إليها جاسر بيديه أمام عينيها فترتبك وتقول: آسفة بس افتكرت أدهم، عن إذنك أنا بقى.

وتخرج سريعًا، ولكن قبل أن تغلق الباب يسمعون صوت جرس باب الفيلا الرئيسي، فيقول جاسر: استني يا فرح، خديني تحت أشوف مين.

تهز رأسها دليلًا على الموافقة ويترجلون إلى هول الفيلا.

تغلق أسمهان باب الغرفة والضوء وتتظاهر بأنها نائمة، يدخل عليها كريم ويقترب منها ويطبع قبلة حنونة على خدها، ويتركها ويخرج ليبدل ملابسه من دون إزعاجها، تنزل دموع أسمهان على خديها في أسى وتقول بصوت هامس لا يسمعه أحد: سامحني يا كريم إني هكون سبب وجعك، سامحني يا نور عيني؛ أنا مش هبقى جنبك، سامحني إني هكون سبب وجع قلبك وبكا عنيك أول ما امشي، خلاص يا كريم مش فاضلي كتير، كلها شهر وأيام وتكون لوحدك، كنت على طول تقولي أنتِ البيت بتاعي يا أسمهان، لو أنتِ مش معايا هبقى في

الطل وأموت من البرد.تزداد تشنجًا وبكاء وتقول: ما تموتش من غيري، حرام عليك توجعني وأنا ميتة، يا رب اللهم لا اعتراض، أنت عالم إني راضية بالمرض والوجع ومسلمة أمري ليك، بس يا رب بلاش سبب موتي يكون سبب في وجع كريم يا رب، هو حب حياتي يا رب، أنا ما ليش غيره، احفظ قلبه من الوجع يا رب وخدني عندك، أنا موافقة، بس ترزقه فرحة تنسيه موتي وتنسيه أي وجع، أنا عارفة إن غادة بتحبه، وعلى الرغم من كدا قبلت تكون صاحبتي وتسيبني افرح بحب كريم، يا رب غادة طيبة وتستاهل كريم، يا رب ارزقها بيه من بعدي واجعلها سبب في فرحته.تنظر إلى السماء وتغمض عينيها في رجاء من الله أن يستمع ويستجيب لها.

تفتح فرح باب الفيلا لأن الوقت قد تأخر كثيرًا والخادمون نائمون الآن، يظهر وجه رجل ثلاثيني طيب الملامح وسيم، تقف صامتة فرح أمامه لا تعلم من هو، ولكن يأتيها صوت جهوري تميزه فرح جيدًا، إنه صوت جاسر بفرحة يقول: محمد يا بن خالتي، أخيرًا يا جدع.

يدخل محمد إلى الهول ويحتضن جاسر، ثم تدخل سيدة مسنة إلى الهول وتقف بالقرب من فرح، تبتسم فرح لها في ترحاب، فترد لها السيدة الابتسامة ولكنها أكثر حفاوة وارتياح.

في صباح اليوم التالي تستيقظ ريماس من نومها وتدخل لتصلي وتفطر لتذهب إلى عملها الجديد في مصانع المحروس، تأخذ قطعة من الجبن ولكن تبتسم فجأة!

فلاش باك..

لا يا ريماس مش هتنزلي المصنع مع العمال، أنتِ هتكوني السكرتيرة بتاعتي، وأصلًا كنا نزلنا إعلان وما حدش قدم، فرزقك بقى.

باك..

يا رب ارزقه ع قد نيته واحترامه، الحمد لله أنا خلصت أكل اهو، يلا بينا على الشغل الجديد يا سمسم، الله المستعان.

أدهم، يلا يا بابا قوم عشان المدرسة، يلا يا حبيبي.

يفتح أدهم عيناه، يبتسم لها ويقول: صباح الفل يا قلبي.

تبتسم له وتقول: يلا يا شقي قوم اغسل وشك وصلي وأنا هجيبلك فطارك.

ـ حاضر يا فرحتي.

تترجل فرح، وفي طريقها إلى المطبخ تلمح مصطفى يمسك بكرسي جاسر ويتجهان إلى (الجنينة)، تذهب إليهم

في قلق وتقول.

خير يا أستاذ مصطفى؟ صاحيين بدري ليه؟

يتثاءب مصطفى ويقول: حكم القوي على الضعيف يا ستي.

يضحك جاسر ويقول: مش أنتِ قُلتي الصحيان بدري حلو عشان العلاج؟

تنظر إليه باندهاش وتقول: أيوه الدكتور قال كدا!

جاسر: خلاص أنا اهو بنفذ كلامه عشان اخف، أظن فاضل نص ساعة على فطاري، صح؟

تبتسم له فرح وتقول: الله أكبر، كمان بقيت حافظ المواعيد ومش بتتعصب من الأوامر؟

مصطفى: بتفكريه ليه يا بنتي سيبيه ناسي.

جاسر: لا يا لمض مش ناسي، بس فعلًا عاوز انتظم عشان العملية كمان شهرين.

تبتسم له فرح باطمئنان وتقول: ما تقلقش خير.

أنا هحضر الفطار لأدهم عشان المدرسة وهجيب لحضرتك الفطار في (الجنينة) في معادك.

جاسر: هو أنا مش بقولك فرح؟

فرح: أيوه.

جاسر: خلاص قوليلي جاسر بس، وإلا هقولك يا هانم، ها.

فرح بابتسامة: لالالا خلاص حاضر، بس مدام سمية وأستاذ محمد هيصحوا إمتى؟

جاسر: لسه ما اعرفش، عادي على حسب مواعيدهم، المهم أنتِ هنا الممرضة بتاعتي مش الشغالة، ما تهتميش بصحيان وأكل حد هنا، فاهمة؟

تنظر له فرح وتقول: حاضر، عن إذنك.

يبتسم لها جاسر بعدما تركته، يصيح مصطفى ويقول: ما خلاص يا روميو مشيت، يلا بينا.

تصدق أنت رخم يا مصطفى، يلا.

يطمئن القلب لـ نظرات الاحتواء من ذاك الغريب!

- اتفضل الأوراق دي عاوزة توقيع حضرتك عشان تروح البنك.

ينظر ليها آسر بإعجاب ويقول: بقيتي فاهمة الشغل جدًّا يا ريماس،

- برافو.

تبتسم له ريماس في رضا: الحمد لله الفضل ليك.

- آسر: طبعًا لا، أنتِ اللي شاطرة، المهم ابعتيلي جيسي بتاعة العلاقات العامة، عاوز منها باقي الملفات.

ـ حاضر، ثواني وهكلمها.

غريب! مهما كان عصبي بس فيه حنية الدنيا وما فيها، هو لسه فيه أمان بيبقى نابع من قلب راجل في الزمن دا؟! غريب بمعنى الكلمة، يشبه نسمة الهوا في عز الحر، والخنقة بيهونها، على الرغم من إنه ساعات بيكون بسبب الزعل عندي شغف الكون إني أسعد قلبه وكأنه أنا، فيه إيه يا فرح؟ نظرتك اتغيرت لجاسر ليه؟ معقولة أكون... لالا يا فرح أنتِ مش حِمل وجع، كفاياكي اللي حصلك، بس هو غير الكل، كله بيبقى زي الإزاز اللي بيلمع وبيجذب النور ليه، لكن مجرد ما بتلمسيه من غير قصد بيجرحك، ارجعي لعقلك يا فرح، جاسر مش هو اللي ينفعك، دا عاوز ست الحسن، بنت تكون خالية من الوجع وفاتحة قلبها للدنيا ووشها ضحكته بستان ورود نبت ف صباها، من جمالها تخطفه قبل ما تخطف قلبه، فوقي، أنتِ بتلضمي في روحك بالعافية، مش حمل خبط في روحك اللي ياما اتداس عليها، (تختنق فتنزل دمعة حائرة على وجنتها)، الله يرحمك يا بابا، لو كنت عايش ما كانتش بنتك هتحرم على قلبها الحب وحلاوته وراضية بالهم وآهاته، بس أنا بدعيلك وبتمنى تحن عليا وتهمس لربنا، فرح قلب فرح يا رب، فيستجيب ليك وأحس بروحي ولو مرة واحدة إنها بتتنفس.

ـ لو قلتلك مش عاوز اشوف دموعك تاني هتسمعي كلامي؟

ـ أهلًا وسهلًا بيك يا أستاذ محمد، أخيرًا نزلت مصر وشوفتك.

يحتضنه محمد ويجلس بقربه ويقول: والله يا دكتور شهاب أنت عارف الشغل برا، لازم تلتزم بالعقد وإلا شرط جزائي.

شهاب: الحمد لله إنك رجعت، المهم أخبارك إيه؟

د/محمد: الحمد لله تمام، بس عاوزك في موضوع مهم.

شهاب: خير؟

د/محمد: أنا قررت افتح مستشفى هنا وعاوزك شريك ليا بالنص عشان أقدر أجهزها تجهيز يليق بينا، وكمان عاوزها تكون زي برا بالظبط.

شهاب: ما عنديش مانع طبعًا، تعالى بقى نتكلم في التفاصيل.

قبل أن يكمل جملته تدخل فتاة صاحبة عينين زرقاوتين وشعر بني قصير، ترتدي نظارة طبية وجيب قصير وبالطو الطبيبة وتقول: عاوزاك ضروري يا شهاب.

يترك شهاب محمد في نظرته إلى اللا شيء ويذهب مع الطبيبة

فيهمس محمد لنفسه ويقول: مصر شكلها مش هتجيبها لبر.

أحيانا تكون النظرات قوية جدًّا بعمق عمر بأكمله تقضيه برفق أناس لا تشعر بهم.

تجلس وحيدة في غرفتها تضم ساقيها إلى وجهها في شرود تام إلى أن تدخل والدتها تناديها بضع مرات، ولكنها في عالم آخر، إلى أن تلمسها فترتجف أوصالها وتنظر إلى أمها.

- مالك يا غادة فيه إيه يا بنتي قلقتيني؟

تتلاشى أحزانها وتضحك لـ تبث ف قلب أمها الطمأنينة: ما فيش يا أمي أنا زي الفل بس كنت سرحانة شوية.

تقترب منها وتضمها إلى صدرها: لو خبيتي عن الناس كلها أنا قلبي بيحس بيكي وبيقولي كل حاجة يا غادة.

- طيب اعمل إيه يا ماما؟ والله غصب عني.
- عارفة يا قلب أمك، بس ما تيأسيش، أنتِ راضية ربنا وأهلك ومش طالبة الغلط، كريم كان مكتوب له إن قلبك يحبه وما يدخلش غيره في قلبك، بس

يشاء ربنا ويحب أسمهان ويتجوزها، بس عارفة يا غادة؟ أنتِ جدعة.

تتعجب من كلمة أمها وتقول: ليه يا ماما!

- عشان أنتِ بتحبيه بجد، والحب اللي بجد تضحية، بتكتفي ببصة في عين كريم وهو فرحان مع مراته كأنها ليكي أنتِ، بتخبي عليه لهفتك لشوفته، بتكتمي غيرتك وهو بيحكيلك على مشاكله، عارفة يا غادة؟ كان فيه عراف زمان قال لأمي يوم ما تحبي اعرفي إن حبك مش هيضيع، مهما بعد عنك ومهما اتخلى عنك مش هيضيع، عارفة ازاي؟

ترد بلهفة: ازاي يا أمي؟!

- عشان القلب بيعشق كل نظرة رضا، وكل حضن بالاهتمام، وكل كلمة بتتقال لك وقت زعلك وبتفرحك، الحب بيفرض نفسه على قلب اللي بتحبه، لأن الضلوع بتتلاقى في آخر مكان جواه، ما تقلقيش، حبك ما ضاعش يا غادة.
- أنا بحبك أوي يا أمي، ريحتي قلبي الهلكان.

ـ يخلق الله لك نصفك الثاني، ولن يكون لغيرك مهما حدث!

ـ ما كنتش اعرف إن الغردقة بالجمال دا أبدًا!

الغردقة بقى ليها طعم لما شوفتيها يا ريماس.

ترتجف أوصالها وتنظر إليه: أنا؟!

ـ أيوه أنتِ، ما كنتش اعرف يعنى إيه حب من نظرة، بس عرفته لما شفتك أول مرة بتبصيلي قبل ما يغمى عليكي في الحادثة، أنا لقيت روحي بيكي يا ريماس، عارفة؟ كانت أمي بتقولي يوم ما هتحس إن قلبك بيتنفس يا آسر هتعرف إنك حبيت، وأنا قلبي اتنفس بيكي.

تنظر إليه غير مدركة ما يقوله لها، لماذا قلبها يخفق بشدة، لطالما سمعت كلمات الغزل والحب والمعاكسات، ولكن الآن غير ما سبق، الآن بالفعل تستمع إلى قلبها وتشعر به بداخلها يقترب منها وينظر في عينيها ويقول: تتجوزيني؟

تغمض عينيها من أثر المفاجأة ولكن تفتحها عندما تشعر بلسمته فجأة، وبعدها تشعر باهتزاز قوي، فتفتح عينيها فترى آسرًا يقوم بحملها ويتجه إلى البحر مباشرة ويقوم برميها.

تفتح عينيها وتضحك كأنها طفلة في الخامسة من عمرها.

يقترب ويقول: أنتِ روحي يا ريماس، مش هتغيبي عني.

تقترب وتحتضنه بشدة: أنت اللي ادتني الحياة يا آسر،

مش هسيبك مهما حصل، بحبك من أول مرة شفتك فيها، بس أنا ما كنتش حمل وجع.

ـ انسي إن قلبك يحس بس بزعل طول ما أنا عايش، أنتِ ملكة قلبي، يعنى فرحتك بقت هدفي وبس يا ريماس، بحبك.

يقع قلبك في الحب عندما تيأس من أنك سوف تحب!

ـ ما فيش يعنى ما فيش يا جاسر.

ـ سيجارة واحدة بس يا فرح، أنا بجد مصدع أوي.

ـ مصدع يبقى قُلي أشوف وقت علاجك أو تنام شوية.

ـ يا فرح أنا مش متعود ما اشربهاش.

ـ خلاص هتتعود، دي بتأخر علاجك، عاوز تخف ولا لا يا جاسر؟

ينظر إليها ويرى في عينيها رجاء بأن يتم شفاؤه لتشعر بالفرح، يخفض نظره ويقول: عاوز يا فرح وهسمع كلامك.

تقترب منه وتقول بحنان: ما تزعلش مني، أنا خايفة عليك وعاوزة اشوفك فرحان،

ـ مش عاوزة اشوف كسرة في عيونك يا جاسر.

ينظر إليها وينسى كل قواعد الماضي.

- ما بقاش فيه كسرة في حياتي يا فرح من يوم ما بقيتي في البيت، عارف إني قسيت عليكي كتير، وعارف إن ما لكيش ذنب، وعارف إن أنتِ مش حمل وجع، باين في عنيكي إنك اكتفيتي حزن، بس غصب عني، أنا ضاعت مني كل حاجة، أمي وأختي ماتوا بسببي، حبيبتي أول ما شافتني على الكرسي دا بصت لي ومشيت وما رجعتش يا فرح، ما رجعتش تخيلي! ما بقاش ليا غير مصطفى وبس، كل صحابي ما بقاش حد فيهم يفتكرني، ما بقتش بنزل شغلي، بقيت بكره البنات والناس، بس أنتِ لا، ما كرهتكيش ولا عارف أكرهك، أنتِ تتحبي يا فرح، تتحبى وبس، صدقيني اللي زيك ما ينفعش يعاشر بشر زينا.

ترد فرح وكأن صوتها يخرج من أعماق الكوكب الغريب الذي شدها إليه جاسر بكلماته الغريبة الحنونة العاشقة لقلبها وإحساسها:

- أنا زي أي حد، بس لسه طيبة، وربنا بيرزق الطيبين ببعض زي ما رزقني بيك كدا. تتركه في حيرته وتذهب من أمامه بسرعة البرق.

تصمت الكلمات عن البوح بمشاعرها لخوفك من فقدانها.

أسمهان، يلا يا قلبي عشان تاخدي الدوا.

يقترب منها ويهزها فلا ترد ولا تتحرك! يهزها أكثر دون جدوى، يقترب منها ويرفع رأسها فلا تستجيب له، يلمس يدها: أسمهان يا حبيبتي قومي يلا.تقع يدها في استسلام تام بجانبه، ينظر إليها ويبكي بذعر: أسمهان، لا ما تقوليش إنك سبتيني، هتخوني وعدك ليا إنك على طول معايا؟ طب هونت عليكي؟ ما فكرتيش في وجعي من غيرك؟ طيب مش هيوحشك الورد اللي بجيبهولك؟ ولا نسيتي حلمك إنك نفسك في بنوتة تشبهلي؟ ولا راحتك وأنتِ بتشوفي ضحكتي، عاوزة تطفيها ليه دلوقتي يا أسمهان؟ ليه عاوزة وجع قلبي؟ ليه؟ أسمهاااااااااااااان!

عندما يموت من تحب تشعر بأنك تتشارك معه الموت!

والله شكلها هتحلو يا محمد وهتقع في الحب، بس تفتكر هي أصلًا مش مرتبطة؟ يا عم أنت نحس على طول، فأكيد اه. ممكن تسكت خالص؟ عازوني ازعل ليه يا أخي؟ أنا بوعيك بدل ما تقع في شر أعمالك وأنت والله طيب بس أهبل. إيه أهبل دي؟ ما تلم نفسك شويه، أكيد لا طبعًا مش مرتبطة.

هش اخرس أنا هتصرف ونام بقى، ها؟ نام. خلاص هنام ولا تتعصب ولا تزعل يا عم براحتك.

حوار بين محمد وعقله!

تصل غادة ووالدتها إلى بيت كريم.

تقترب منه فتجده شاردًا لا يشعر بمن حوله ولا يتكلم، ينظر للا شيء.

ينقبض قلب غادة من أجل شكله، ومن أجل موت أسمهان أكثر، إنها بنت خالها وصديقتها، لا محالة من الوجع، فعلى الرغم من أنها تحب كريم فإن أسمهان صديقتها. "كريم"!

لا يحرك ساكنًا ولا يشعر بها، تقترب منه وتهز كتفيه فينظر إليها، وعندما تتلاقى الأعين يرتمي في حضنها ويبكي، كأنه يتخلص من المياه في جسده على هيئة دموع موجعة تُحدث بداخله شروخًا وموتًا بالبطيء،

تصمت غادة في حضنه وترتجف أوصالها، ولكنها تشعر به الآن، تشعر بوجعه وفقدانه أغلى ما يملك، كيف لا تشعر به وهي من ذاقت الوجع بأكمله وتضرعت كؤوس الفقدان؟ تضمه إليها في مرارة وتهدئ من روعته وخوفه، تنظر إليها والدتها وتقول: يشاء رب العباد ما لا تشاؤه العباد يا غادة!

عندما تضم من تحب وقت الوجع تشعر بأنك تعريه من وجعه وترتديه بدلًا عنه!

النهاردا عشان وحشتني أوى يا علي هكتبلك، بقالي كتير أوي ما بكتبلكش، على الرغم من نسيانك ليا هكتبلك.

كنت زمان بريئة أوي وطيبة جدًّا بغباء، كنت بقول الحب من غير لقا ونظرة العين وتشوف حبيبك ما يبقاش حب، بس يوم ما حبيت وحصل اللقا ندمت جدًّا، ازاي ممكن تكون في مكان كنت بتضحك وتهزر وتحلم وتبني، ومرة واحدة تروحه من غير نصك التاني؟ وجع بمعنى وجع، عارف اللي وجعني منك إيه؟ إن ما فيش أي لحظة بينا حلوة افتكرتهالي وجيت حتى قلتلي يا بنت الحلال فاكرلك كلمة رضا طمنتني ولا ضحكة فرحة خطفتني، أنا مش زعلانة منك، أنا زعلانة من الحب اللي سلب روحي وغير طباعي وبكى عنيا وشرخ الضلع اللي صالب طولي، أدمع فتخطفني وتهلك روحي أغنية أنغام بكلماتها اللي بتدفن روحي جوا قبر قلبي، (ما بتعلمش.. بغيره القلب ما بيحلمش)، أبص للسماء كأني بترجاها ترجعك ليا، تترعش روحي أول ما تقول (يروح ويغيب وينساني.. ولمّا يجيني من تاني.. يسامحه القلب في ثواني.. كأنه ليالي ما اتألمش)، أفضل اضحك ساعة متواصلة وفي الآخر تقلب بعياط سنين قدام، وزي كل ليلة أنام وأنا مشعلقه دماغي للسما ع قولة (رد لي روحي بيه يا رب)!

المنسية دائما ف قلبك «حياه

ـ مش أنا قلتلك ألف مرة ما تتكلميش مع الواد الرخم دا؟

ـ افهمني بس يا أدهم، والله العظيم ما بكلمهوش، هو سألني على معاد الدرس وأنا قلتله، لسه هلف وامشي لقيتك بتبصلي.

ـ يا نشوى افهمي، أنا بخاف عليكي، والواد دا مش كويس وبتاع بنات.

ـ والله عارفة، وما بسمعش كلام حد غيرك، أنا آسفة بقى.

ينظر إليها ويبتسم لطفولتها المعتادة: خلاص، المهم خدى دي.

تأخد منه العلبة وتقوم بفتحها: الله يا أدهم دي ليا؟

يبتسم لفرحتها ويقول: ما فيش غيرك أنتِ وفرح أجيبله يا نشوى، وهدية فرح في البيت، تبقى دي ليكي.

تنظر إليه، لطالما كان معها رجلًا على الرغم من صغر سنه وحنانه: ربنا يخليك ليا يا رب، حلوة أوي بجد.

ـ هاتي البسها لك.

ترتدي السلسلة على شكل فيونكة، لطالما كانت تعشق الفيونكات، تمسك يده ويذهبان.

عندما يحب القلب حقًّا لا يهتم بـ الأعوام، ولكن يهتم بـ التمسك بالحب.

تجلس ريماس على شاطئ البحر تضم قدميها إلى وجهها وتنظر إلى آسر وتقول: مش جنان إنك تحدد سفرية شغل مستعجل وتطلب اسافر لأني أهم سكرتيرة عندك وبعدها اتصدم إنك جايبني البحر عشان تعترف لي بحبك؟!

ينظر إلى البحر ويقول بـلهفة: عمرك كان ليكي صاحب مشاركك حزنك وساعة فرحتك خبيتي عليه؟

تتعجب من سؤاله وتقول: لا طبعًا.

أهو أنا بقى كدا، البحر كان هو اللي بيسمع وجعي، مش طبيعي وقت فرحتي ما اكونش بسمعه فرحتي واخليه يشوف ضحكتي اللي نورت بوجودك ف حياتي يا ريمو.

تحمد الله في قلبها أنه رزقها هذا الحب الحنون.

ـ أستاذ مصطفى، هو جاسر فين؟

ـ مش ف الأوضة؟ أنا لسه سايبه هناك بيخلص شغل!

ـ لا مش هناك، هسأل أدهم عليه ثواني.

تذهب فرح إلى غرفة أدهم لتسأله، ولكن تقف عند حافة الباب على صوت جاسر.

ـ لو بتحبها بجد حافظ عليها، الحب غالي أوى مش أي حد يعرف يشتريه يا أدهم إلا بالرجولة والاهتمام والحنية والمودة.

أدهم: أنا بحبها وبفرحها بس بغير أوي يا جاسر.

يبتسم جاسر لـعفويته: طبيعي تغير، لكن الأهم تثق فيها، واوعى تحسسها بالشك فيها لأنها هتتوجع.

ـ لالا يا جاسر والله واخد بالي.

ـ طيب قولي اسمها إيه؟

يبتسم له: نشوى.

ـ الله حلو أوي، أكيد شبهك يا أدهم،

ـ أنت طيب جدًا فهي لازم تكون شبهك.

أدهم: لا أحلى، شبه فرح في قلبها.

ـ يبتسم له جاسر ويشرد قليلًا.

ـ جاسر؟

ـ ها؟

ـ أنت فينك؟

ـ لا مفيش معاك، بس عارف فرح أختك دي عندية بطريقه تخلي الواحد هيشيط.

- هههههه لا والله هي لما بتقلق بس بتعند غير كدا لا.
- تمام يلا ذاكر وركز عشان تعرف تكون لها سند، ها؟
- جاسر.
- نعم يا أدهم؟

يقترب منه ويحتضنه ويقول: ربنا يخليك ليا يا صاحبي.

يطمئن جاسر لـذاك المراهق الشهم ويتركه يكمل دروسه.

تترك آسر في غرفته وتذهب هي إلى غرفتها وتجلس على حافة السرير وتقول: هو أنا بحلم، صح؟ لا أنتِ صاحية وفايقة كمان. معقولة يكون ربنا بيعوضني بـ حب حنين أوي كدا؟ آسر دا يستاهل أحسن بنت، معقولة حبني؟ طيب لو حبني فعلًا أنا أستاهله ولا لا يا رب؟ أكيد أستاهله، ربنا بيرزق الطيبين ببعض، وانا مفياش ميزة غير طيبتي، يا رب أنا راضية بكل شيء بس ما تبعدهوش عني تاني أنا ما صدقت لقيته.

لا تصدق لقاءك مع من يحبه القلب، وكأنك تحلم!

يمر أسبوع بدون حدوث شيء مثير لـ أبطالنا.

يوم جديد بـ مواقف أجدد..

يستلم دكتور محمد عمله في المستشفى مع رفيقه دكتور شهاب لوقت محدد إلى أن يستلم المستشفى الخاص به هو ودكتور شهاب.

ـ دكتور شهاب، أنت...

تصمت الفتاة عندما ترى دكتور محمد يجلس مكان دكتور شهاب، فيبتسم لها ويقول: اتفضلي، دكتور شهاب شوية وراجع.

ـ حضرتك مين؟

ـ أنا دكتور محمد معاكم من النهاردا، ويا رب أكون مبسوط معاكم.

تضحك الفتاه وتقول: طبعًا.

ـ وحضرتك مين؟

ـ أنا دكتورة ملكوت.

ينظر إليها باستغراب شديد: ملكوت!

تبتسم له وتقول: ما سمعتهوش قبل كدا؟

ـ لا، بس جميل أوي، مميز ونادر ف حلو طبعًا.

ـ ميرسي لحضرتك، عن إذنك أنا بقى

ـ اتفضلي. تتركه وتذهب إلى عملها

ـ ملكوت!! شكلك حكاية يا ملكوت.

تدخل غادة الغرفة فترى كريمًا جالسًا في وضع القرفصاء، ينقبض قلبها على حاله وما هو فيه الآن تقترب منه وتقول: وآخرتها يا كريم؟ هتفضل قاعد كدا كتير؟!

ينظر إليها بكسرة ويقول: غصب عني يا غادة، دي أسمهان، معقولة مش هشوفها تاني؟

تدمع عيناها وتقول: احضنها بدعائك ليها يا كريم، الدعاء حضن وأنت محتاج حضنها.

تدمع عيناه ويقترب منها: عارفة يا غادة؟ ما فيش حد بيفهمني زيك، أنتِ اللي عارفة ازاي برتاح، ما ليش أقرب منك، حتى صحابي الشباب ما لقتش فيهم في جدعنتك، ربنا بيحبني إنه رزقني بأخت زيك.

تنظر إليه وتغمض عينيها على إثر كلمته (أخت)! وتقول بـ مرارة: وهي الأخت إيه غير قرب لأخوها؟ يلا بينا قوم ناكل لأني هموت من الجوع.

لأول مرة منذ رحيل أسمهان يبتسم لها ويقوم معها.

لا يهم من تحبه كيف يراك بداخله، ولكن الأهم أن تظل بجانبه!

- النهاردا الدكتور طمنا أهو يا أستاذ، عشان تعرف إن كلامي صح، شفت بقى؟

يبتسم لها ويقول: أنا أصلًا ما سمعتش كلام حد غيرك، تخيلي!

تنظر إليه بخجل وتشغل نفسها بترتيب الأدوية.

- كدا قدامنا شهرين والدكتور يسفرني ألمانيا أعمل العملية، بقى فيه أمل يا فرح.
- الحمد لله يا جاسر، عقبال ما اشوفك واقف قدامي وفي أفضل حال.
- تعالي يا فرح احكيلي عنك؛ عاوز أعرف كل شيء عنك، ممكن؟

تجلس بجانبه وتقول: عنيا حاضر، بص يا سيدي، أنا بابا كان تاجر قماش صغير في الوكالة، اتجوز ماما وخلفني وبعدي أدهم، كان أحن قلب في الكون، وماما كانت ملاك على أرض ربنا، مات بابا وأنا عندي 17 سنة، وأمي حصلته بـ 4 شهور من الزعل عليه، ما بقالناش حد أنا وأدهم، فسيبت الثانوية على الرغم من إني كنت شاطرة جدًّا وبحب دراستي، واشتغلت وحلفت ما حد هيصرف مليم على أدهم، اشتغلت كل حاجة، في صيدلية وفي محل وفي عيادة وفي مصنع، لحد قبل ما

اجيلك صاحب المصنع ما كانش بيسبني في حالي، وآخر مرة دخلت المصنع يوم ما طلب يتجوزني كنت هوافق، بس لو برضا ربنا، لكن طلب عرفي يعني يتسلى، وأنا مش بتاعة كدا، سبته المصنع وطلعت وأنا بعيط، لحد ما لقيت جرنال في وشي إنك طالب ممرضة، وجيت، وبس توتا توتا بقى.

ـ أنت طيبة أوي يا فرح وربنا بيحبك جدًّا.

ـ وأنت كمان يا جاسر، يلا بينا ورانا تمارين يا أستاذ.

الليل وحش أوي بس بيونسني، وحشتني عندك وقت تقرا جوابي ولا لا؟ أكيد عندك، أبدأ بإيه؟

عارف إني بعشق الروايات والحكاوي، ما تستغربش لما تلاقيني بشوفك جوايا أحلى حكاية هزت التاريخ، على الرغم من الوجع، بس أحلى حكاية والله، عارف إحساس الوريد اللي نافر من العروق في كركبة وزحام مخيف للدم؟ أنت بتشبهه وقت عصبيتك، بتكون ملغبط تفاصيلك الحلوة ومبعتر حلاوتك زي الورد في الجنين الخضرا، عاوز إيه من بنت مش شايفة في رجالة العالم كلهم غير طيفك ملازم ملامحهم وتفاصيلهم؟ يا بن القواعد المربكة، أنت غير الكل، على الرغم من إن فيه غيرك قادر يسعد قلبي ويخطفني لجنة أنت

زهدتها، بس دونًا عن الدقات والأحاسيس قلبي عشقك أنت وسلم لدوامتك، اللي خطفتني لدنيتك وخلتني أكفر بأرض دنيتي، في حين إن أنا بعشق منير وبشوفك في أغاني فيروز، على صراط أغرب أنواع الموسيقا المهيبرة عشان بس أكون بشبه العالم اللي واخدك من قلبي، وسلمت له روحك وبقيت درويش بيلف في أوتار المزيكا، مع كل نبضة لحن تعزف ترد روحك وتنساني، عذراك والله، أصل الموسيقا حياة، بس ما تخلكش تنسى القلب اللي بيدق باسمك في كل وقت وأدان يا بن الوريد، أمانة عليك ما تكونش بتشبه عرقك النافر في وريدك وتنفر من قلبي وتهجر آخر ضلع متعشق فيك وراضي حتى بـ هجرك ونسيانك!

تدخل فرح غرفة جاسر فترتجف أوصالها وتصرخ: جاااااااااسر! ما كنتش فاكرة إن كل اللي ضاع وكل اللي بيروح هيعوضني عنه ربنا بـ وجودك يا جاسر في حياتي، عارف؟ أنا ما بزعلش منك ولا ممكن في يوم أسيبك، بس أنا ما بقتش فاهمة أنا بكدب عليك ولا بساعدك، استحق قلبك ولا كتير عليا، بتحس بيا ولا مش شايفني، تفتكر ربنا جعلني أسيب المصنع عشان اقدر اشتغل هنا؟ بس أنا ما بحسش إني بشتغل، بحس إني ببقى مبسوطة وأنا بتابعك وبهتم بيك، مش زي أي شغل، وجع ضهر، ونفسية مخنوقة، وحيل مهدود،

ونظرة بتعريك من هدومك، وصاحب شغل عينه زايغة، وكلام من تحت لتحت من بنات غيرانة من الحاجة الوحيدة اللي ربنا كرمني بيها واداهالي، إني أكون عايشه محترمة وما ليش في الكلام بتاعهم، بابا زمان كان بيقولي الراجل اللي يغطي الست مش اللي يعريها ب كلمته أو نظرته، وأنت راجل بجد يا جاسر، ربنا يديمك ليا حياة ما تخلصش أبدًا مهما فاتني العمر واتبدلت الدنيا وخلصت الخلق من الكون والقيامة قامت والدنيا أصبحت سراب، يديمك في كل نبضة قلب هنا أو عند الرحمن، يديمك لـ فرح وبس يا جاسر!

تصمت وتبتسم بعدما قالت كل ما يعتمل في قلبها وهي تشاهد جاسرًا يجلس أمامها في (الجنينة) يتحدث هو وأدهم في أشياء لم تعلمها، ولكنها تفرح لذلك، يهتم بـ أدهم، لأول مرة ترى أحدًا غيرها يهتم به ويحنو عليه ولا يتذمر أويمل من مسؤوليته، كم أنت جميل أيها الجاسر!

ـ عارف يا أدهم؟ أنا بحس إن جاسر شبهك أوي.

يبتسم جاسر لها: لا هو أحسن، بس بخاف عليه أوي وعاوز أساعده جدًّا، فرح بتعمل كل اللي تقدر عليه وبدأ يتحسن، بس نفسي أشوفه بيمشي على رجله من تاني.

ـ طول ما فرح معاه ما تخافش يا أدهم، بس ممكن سؤال رخم؟

- اسألي طبعًا.
- تفتكر فرح بتحبه؟ اللي حكيته عنه يقول إنها بتحبه وجدًّا كمان!
- مش عارف يا نشوى، بس أتمنى تكون بتحبه، جاسر جدع جدًّا.
- طيب يلا بينا عشان المستر وصل اهو.
- يلا

في كافيه ف وسط البلد تجلس غادة برفقة كريم، اليوم بدأ يترك البيت بأوجاعه وينفذ رغبة غادة ويخرج ليجدد طاقته ويبتعد قليلًا عن البيت يحتسي كوبًا من القهوة وينظر إلى غادة دون أن تعلم أنه ينظر إليها: ظلمتك كتير وعارف إنك مش مستنية طبطبة ولا اعتذار، بشوف لمعة عنيكي بحب ليا من زمان، بس صدقيني غصب عني يا غادة، الراجل مش عاوز حب، عاوز بنت تكون له صديقه قبل ما تكون له حضن وبيت، وأنا ما لقتش الصديقة دي غير فيكي، عارفة حبي لأسمهان على الرغم من إنه كبير أوي بس ما كانتش صديقتي، ما اعرفش ليه، بس حاسس بيكي، سامحيني!

تأخذه من أفكاره وتضرب الترابيزة بمرح: إيه اللي شاغل بالك يا أستاذ؟

يبتسم لها ويقول: أستاذ مرة واحدة؟!

ـ وهل يوجد غيرك هنا الآن يا سيدي؟

يضحك من نبرتها، تضع يديها على خديها وتقول: الله.

يستغرب لـ كلمتها: الله على إيه؟

ـ على ضحكتك يا كريم، اوعى تبطل تضحك، ضحكتك حياة.

ـ مش هلاقي زيك في كل حاجة مهما جاني، أنتِ أفضل ما جاني يا غادة اتطمني.

تبتسم له وتقول: ما تقلقش أنا متطمنة ومش مستعجلة على أي حاجة غير إنك تضحك وبس.

ـ بتحبي الجنان؟

ـ طبعًا، فاكر لما كنت بتلاقيني بنط من فوق السرير كل شوية واحنا في ابتدائي وتقولي هتقعي يا مجنونة.

ـ فاكر جدًّا، يلا بينا.

ـ على فين؟

ـ على أبعد مكان جوا لمعة عنيكي اللي مش راضية تنطفي.

في مكان غير أحداثنا كل يوم، داخل مشفى الأورام السرطانية يجلس شاب ينظر للسماء صامتًا شاحبًا، تدخل إليه فتاة في سن الـ 17 عامًا، ترتدي فستانًا طويلًا وحجابًا جميلًا وتضع يدها على كتفه: وحشتني.

يبتسم لها: وأنتِ وحشتيني أكتر يا شذى.

- طيب مش عاوز تعرف جبتلك إيه النهاردا؟
- لا أنتِ عارفاني رخم وفضولي.
- ما تقولش على شادي حبيبي رخم، هو غلس بس يتحب يعني.
- لا والله؟
- والله.
- طيب جبتي إيه؟

تفتح الحقيبة وتخرج منها كاميرا، كان يتحدث عنها شادي كثيرًا ويحلم أن يشتري كاميرا مثلها لـ يصور غروب الشمس والأطفال في الشوارع

- الله يا شذى، الكاميرا اللي كنت هجيبها قبل ما...

ويصمت عن الكلام، ولكن قلبه يتكلم بألم لم يلتئم.

- حاسة بيك يا شادي، بس أنت قوي، أقوى من السرطان والناس بربنا سبحانه وتعالى، مش دا كلامك ليا؟

- أنا بحبك يا شذى، أنتِ بالذات ما تمشيش زي الكل.
- ما ينفعش تطلبها يا شادي، أنا اللي بصلي كل يوم وادعي إنك ما تسبنيش، فاكر لما قلتلي يا شذى أنتِ عرق نافر في قلبي، خايف يلتحم مع باقي العروق فيتحرم منك؟
- فاكر يا شذى.
- أنا معاك ومش هسيبك لأني محتاجة لك أكتر ما أنت محتاج لي، تعالى بقى كفاية نكد، وهتكرم واتواضع وهكون أول حد تصوره بالكاميرا الجديدة، ممكن يا فوتوغرافي المفضل.
- ما ينفعش يكون فيه غيرك في أول أي حاجة يلا.

وقت المرض لن تحتاج لـ دواء ولا طبيب، بل تحتاج لاحتواء يقويك على المرض!

فلاش باك..

تدخل فرح غرفه جاسر فـ تصرخ: جاااااسر!

عندما دخلت شاهدت جاسرًا نائمًا بجانب السرير ورأسه تختفي أسفل السرير، فـصرخت خائفة لتصورها أنه وقع من سريره أو من كرسيه.

ولكنه نظر إليها بـضحك وقال: فيه إيه يا مجنونة أنتِ مالك؟

- حرام عليك خضتني، بتعمل إيه؟
- الخاتم بتاع ماما الله يرحمها وقع من إيدي، كنت بجيبه.
- طيب تعالى أسندك وقوم أنا هجيبهولك.

أسندته وجلبت الخاتم وجلست بقربه، طال نظره إليها وقال:

- من ساعة ما جيتي هنا وأنتِ سندي يا فرح، على الرغم من إن المفروض العكس، بس وعد مني بعد ما هرجع من العملية اللي في ألمانيا هكون لك سند يا فرح.
- وأنا مش عاوزة غير سندك يا جاسر، تسلم لي.

وتتركه وتذهب لـغرفتها.

يرهق قلبك أنك لا تستطيع أن تعطي لأقرب شخص إليك حقه في اهتمامك به.

كنت فاكر إني نسيتك عشان غبت يومين عن روحك اللي بتطفيها وتهلكها بالشيشة والنيكوتين؟ أنا لو نسيت اسمي عمري ما انسى النفس اللي شايل اسمك وبيحسسني إني لسه

موجودة ما متش، معلش هتقل عليك بمشاعري اللي ياما اتمنيت تعرفها، بس للأسف كنت ساذجة، وما زلت ساذجة وغبية زي ما كنت تملي بتقولي، بس ما كنتش عارف إن الغباء في حياتي كان هو اختياري لحبك، ولا لا استنى، أنا أصلًا ما اخترتش أحبك، عارف موجة البرد ف عز ديسمبر اللي بتضرب وشك بكل قوتها وتحس إنك هتتجمد من قسوة جفاها؟ أنا حسيت بـالضربة دي بس ف قلبي منك، معلش، كلمة كنت على طول تقولها لي كأنك بتقول كلمة واجب على مشاعري، النهاردا أنا بقولك معلش، بس بجد ومن قلبي عشان ياما كنت النسمة الصافية اللي بتلمس قلبك وتطمن لها، معلش عشان كنت أنضف قلب عرفته وصانك، معلش عشان كنت لسه معاك بقشرتي وما اتفرتكتش تحت رجلين الخلق، معلش عشان كنت طفلة وعفوية وبفرح بكلمة منك وبزعل من فعل ليك، بس بصفالك بضحكة، معلش عشان وصلتني لمرحلة إنى أرمي أي إحساس جوايا في سلة اللي فات واقفل عليه وما احسهوش ولا ادوق حلاوته لأنه مش منك. معلش إني كنت ف يوم من الأيام ماسكة ايدك ومتبتة ورافضة أفلتها فـتفلت روحي من جسدي، معلش عشان عرقي النافر رفض يكون لك صراط من الوجع تمشي عليه وتضغط على أنفاسي اللي بتروح منى وتخنقني، معلش إني لسه لحد النهاردا مستنياك ومش حاسة بالحياة غير في رحم حضنك

اللي بستخبى جواه وبرفض اطلع براه لاتوه وأضل طريقي وما يكونليش بيت يضمني، معلش يا صاحب المعلش!

تلك الكلمات تبوح بها ليس لأنك ضعيفًا، ولكن لأنك تشعر بالوحدة فتتكلم وتستمع لشخصك!

في كافيه ف وسط البلد تجلس فرح وبصحبتها جاسر وأدهم ومصطفى، ينظر إليها وعيناه تلمع من الفرحة، ماذا بك أيتها الفتاه لتغيري قلبي هكذا؟ فأنظر إليكِ وأشعر أن العالم بـأكمله ملك لي!

يفيق ع هزات متتالية على كتفه، ينظر فيرى أدهم ينظر إليه مبتسمًا:

ـ إيه يا عم جاسر أنت سافرت ولا إيه؟

مصطفى: وما تقوليش يا جاسر؟

فرح: هات لي هدايا معاك.

يضحك كثيرًا ويقول: اه أنتم رايقين بقى وهتحفلوا عليا، مش كدا؟

فرح: أصلًا عادي.

أدهم: إيه دا؟؟ فرح بتألش!

مصطفى: أختك انحرفت يا أدهم أوشي وري من الناس فين؟

يضحك الجميع وينتهي يوم كان من أفضل أيام جاسر، ولكن يحدث شيء بداخله يعكر صفو فرحته.

ـ دكتور، فيه حالة عاوزة حضرتك.

ـ ينظر إليها ويقول: شوفيها أنتِ أنا مشغول.

ـ ما ينفعش؛ طالبة حضرتك بالإسم

ـ انا اتشهرت عندكم يا ملكوت ولا إيه؟

تبتسم له وتقول: باين كدا.

ـ طيب تعالي يلا.

ويذهبان حيث حالة تريد أن تراه، ولكن لماذا؟

يترك بضع طرقات خفيفة على الباب فتأذن له الحالة بالدخول.صباح النور.

ـ صباح الخير يا دكتور محمد.

ـ دكتورة ملكوت قالت لي إنك عاوزني،

ـ اتفضل.ممكن على انفراد لو سمحت؟

تنظر إليهم ملكوت وتقول: طيب بعد إذنكم، عندي مرور على الحالات. تترك الغرفة ويحدق شادي في محمد قليلًا! ممكن تساعدني؟

يستغرب محمد لطلبه ولكنه يقول: طبعًا أساعدك، بس في إيه؟

- نفسي أفرحها مرة واحدة قبل ما اموت.
- هي مين؟
- اكتر بنت في الكون حبتني وواقفة في ضهري كأنها حائط وتد، صلبة، قوية.
- عنيا ليك، عاوز تعمل إيه؟
- عاوز اخرج يوم واحد من المستشفى عشان احتفل بعيد ميلادها.محمد: بتحبها؟
- ما بشفش غيرها، ودا الحب اللي بجد، عارف كانت تقف في وسط بنات المدرسة أكتر من ١٠٠ بنت، كنت على طول ما بلمحش غيرها، بحس إنها مخلوقة عشاني، على الرغم إني هوجعها لما اموت قريب، بس نفسي تفتكر لي آخر حاجة إنى فرحتها.
- مش كل اللي بيموت بيتنسي يا شادي، وأنا دكتورك وبقولك أنت هتفضل عايش ويمكن أكتر مني أنا شخصيًّا، عارف ليه؟
- ليه!
- عشان اللي جوا قلب بيحبه عمره ما بيموت، بالعكس، بيعيش معاه لحد ما آخر نفس فيه يروح وأنت متروحش أبدًا، وعلى الرغم من إنك ١٧ سنة وهي قدك، بس أنتم أفضل مني كتير.

- ليه أفضل منك؟
- عشان يوم ما لقيت اللي حبتني وكانت زي شذى مستعدة تضحي بكل شيء بس تكون معايا، كنت أنا مستني غيرها ترجع لي ومش شايفها، بقيت نقطة ضعفها لحد ما قلبها مات وسافرت!
- لو بتحبك بجد هترجع لك.
- مش عاوزها ترجع، كفاية تسامحني إني ما حسيتهاش في يوم ما قلبها ندهلي.
- أنا هساعدك عشان أنت تستاهل تكون فرحة لشذى، يلا بينا نخطط هنعمل إيه.وشغلك؟
- من النهاردا شغلي هيكون إني أعالج السرطان بالحب.

- الشغل خلص في الغردقة، مش يلا بينا نرجع القاهرة بقى؟

تنظر إليه، لم يعطها إجابة عن سؤالها، تقف أمامه وتشير بيديها، ينظر إليها بنظرة لم تفهم معناها، لكنها تحتوي جدار قلبها الذي كان على وشك الانهيار والهدم في زحمة تفتت الضلوع المتألمة من ليالي الآهات والوحدة.

- آسر؟

يقترب منها ويلمس يديها المرتجفتين بضربات قلب سريعة، تخبره أن يتوقف ولكن الفم يأبى أن تتلاشى تلك اللحظة، فيقرر الصمت والاستمرار في نظراته الخلابة.

ـ تتجوزيني يا ريماس؟

تلمع عيناها بخوف لم يمر عليها يومًا ما، لا تتعجبوا، ولكن من يتحقق له حلم طال انتظاره يَخَف عندما يتحقق أن يرحل ويقع من بيت الأحلام إلى أرض الشياطين، فيسهر قلبه يناجى ليلًا كاملًا ودموعًا تخبر القلب أنها تشعر به ولن تتركه يتألم.

يكرر جملته مرة ثانية ولكنها تقف مثل الشجر الذي يحاوط الشاطئ، يخلو المشهد من الكلام، ولكن في قلب ريماس تحيا أرض الأحلام وتدعو الله أن تدوم أعوام عمرها.

تفيق على كلمته: مش هزعل لو رفضتيني، بس جاوبي.

تنظر إليه بحب العالم بأكمله: قلبك ما ينفعش يبات مرفوض يا آسر، قلبك اتخلق علشان يكون لي بيت اتطمن فيه، ولأب يخاف عليا، وأم تحنو عليا، وزوج ادعي كل صلاة ربنا يحفظهولي عمره كله، أنا موافقة يا آسر، موافقة.

لم تشعر بـ جملتها إلا عندما خطفها من على الأرض وظل يدور ويهتف باستمرار: بحبك يا ريماس بحبك..

هكذا يعوض الله الطيبات بـ الطيبين أشباههم.

تجلس على حافة السرير وتفتح دفتر اليوميات الخاص بها، تقرأ أول كلمة تقع عليها عيناها؟ (فيروز)

فلاش باك..

تدندن أغنيتها المفضلة لمحبوبتها فيروز، يدخل عليها ويبتسم لبراءتها، يظل ينظر إليها، يراها مغمضة العينين جالسة تسمع (مزيكا) ترد الروح، يبدو على ملامحها أنها متعشقة في أوتار الأغنية، على الرغم من أنها حزينة وأنها كانت قد كرهت كلماتها بمجرد أن ابتعد عنها، لكنها دائمًا تذكرها أن الحب مرتبط بالعذاب تفتح عينيها وتدندن: أهواك بلا أمل، ينظر إليها بحزن ويقول:

ـ ليه بلا أمل؟ ما احنا سوا اهو!

أنا بسمعها عشان كانت هي الأغنية الوحيدة اللي مصحباني ويا دمعتي وقت ما اتقابلنا آخر مرة وقلتلي مش شايف فيكي مراتي سامحيني ومشيت، وقتها الوجع كان هين على الإحساس اللي جوايا، أنا كنت في قبر مضلم، شفت جثتي واقعة على الأرض ومش عارفة أنزل المسها، شفت قلبي غرقان في بحر الدم، ما كنتش أنت اللي نطقت كلمة مش شايفك مراتي أبدًا، ما كنتش أنت، كانت جملة قاسية عليا أوي، ما صدقتش إنها طلعت من قلبك وطاوعك لسانك تجرحني بيها.

تهرب دمعة نادمة على وجنته، يقترب منها ويضمها لقلبه: أنا كنت غبي، سامحيني يا حياة، ما كنتش عارف إن أنتِ البيت اللي بهرب ليه واتغطى بإديكي الملفوفة حوالين رقبتي وبتطمني، كنتِ على طول بتقوليلي أنت ابن قلبي يا آدم، وفعلًا ما عرفتش معناها غير لما آدم اتهد واتكسر ورجع لقى قلب أمه مفتوح له، وحتى ما فكرش يعاتبني، يا حياة أنتِ جنة ربنا على الأرض، سامحيني.تلمس جبينه وتقترب وتطبع قبلة على جبينه: أنت ابن قلبي يا آدم، ازاي قلبي يهون عليه ما يسامحش ابنه؟ روحي ردت فيا تاني أول ما خدتك في حضني ونسيت الكون، مش بس نسيت الوجع، عارف يا آدم نفسي في إيه دلوقتي؟

ـ إيه يا قلب آدم؟ أسمع فيروز.

باك

(المنسية حياة).

ترتجف أوصالها وتصحو من النوم تصرخ بشدة كأن كهفًا تم إغلاق أبوابه على أحبالها الصوتية!

تدخل والدتها إليها بسرعة والخوف يخيم على قلبها: غادة ياحبيبتي فيه إيه؟

تقترب من حضن والدتها وتبكي كثيرًا.

- بسم الله الرحمن الرحيم، فيه إيه يا بنتي مالك؟
- كابوس يا أمي كابوس!
- حصل إيه يا غادة؟
- أسمهان يا ماما شفتها واقفة جنب بير كبير وبتضحكلي، قربت لها لقيت كريم واقف الناحية التانية وخايف، جيت الحقه بقيت عمالة أقول ابعد، ومرة واحدة لقيت أسمهان بتشد كريم لا يقع في البير، وبصتلي وضحكت، وحطت إيدي على إيده واختفت!
- دي رسالة منها يا غادة إنك ما تسبيش كريم
- معقولة يا أمي تكون عاوزة كدا وهي كانت مراته؟
- الحب مش امتلاك وأنانيه يا غادة، الحب تضحية، وإنك تشوفي حبيبك مبسوط ومرتاح، وأسمهان كانت طيبة وبتفهم راحة كريم فين وتعملها، وهي دلوقتي متأكدة إنك أنتِ أحق بيه من أي حد.
- طيب هعمل إيه يا ماما؟ أنا خايفة.
- ما تخافيش، تبتي في كريم وما تسبيهوش .
- أنا اسيب عمري ولا اسيبه يا أمي.

يوم جديد تخترق فيه فتاة قلب فرح بكل الأسلحة العاطفية والقاسية، ها هي فرح تقع من جديد في المتاعب!

تأتي ريهام إلى فيلا جاسر، تدخل على فرح وتصيبها بالدهشة، تفتح فمها وتتوقف حركة عينيها كالتمثال تنظر إليها.

ريهام ترتدي (جيب) على الركبة و(بدي كات) وتميل بشعرها البني الطويل، وتحوم بعينيها العسليتين في أرجاء الفيلا تبحث عن شيء ما.

تقترب من فرح وتقول باستهزاء: جاسر بيه موجود؟

تنظر إليها فرح باشمئزاز وترد عليها بنفاد صبر: أنتِ مين؟

ريهام: أنا بنت خالته، قوليله ريهام هانم مستناك في (الجنينة) تحت.

وتذهب من أمامها.

تنظر إليها فرح: لا بقى مين دي؟ هي ناقصاها؟ يخرب بيت كدا، البت فظيعة إيه دا؟ دا لو شافها احتمال يقوم يمشي من تاني. أنتِ بتغيظيني ليه؟ ما أنا أحلى طبعًا، كل اللي عاجبك دا سيلكون يا بنتي، دي نافخة على 28. أنتِ ليه زعلانه أصلًا؟ البت حلوة اعترفى إنك خايفة تخطفه منك. اه خايفة، بس مش هسكت لها، ولو شفته مقرب لها أصلًا احتمال ارميه من البلكونة. اهدي كدا وفكري بعقل، قومي هاتي له عصير والعلاج وخليكي كاتمة على نفسها. تصدق

صح، أنا هروح اخنقها. لا بطلي غباء، بقول تابعيها بعقل يلا، وادخلي بابتسامة ترد روحه وتعميه عنها. هو أصلًا بيحب ضحكتي يلا.

يدور ذلك الحديث بين فرح وعقلها..

لم تتغير مشاعر القلوب بتلك النظرات المزيفة.

قاعة صغيرة، شيء ما يطوف حولها، أضواء خافتة وزينة رقيقة، مزيج من ورود التيوليب والفل، وأغانٍ هادئة تخطف حزن القلب وتنصب قواعد العشق بداخله، تدخل فتاه مغمضة العينين بخوف بين يدي صديقتها تسندها لخوفها من السقوط، تفك أسر عينيها ببطء، تفتح وتغلق عينيها في محاوله للرؤية الواضحة، ترى عالمًا من الخيال، فيروز تغني بصوتها الشجي، (أنا لحبيبي وحبيبي إلي)، والورود تنثر عبيرها في أجواء عطرة، وأضواء تطوف ببهجة عارمة، تظل تحوم بعينيها وتتوقف نظراتها على شيء مميز، ترى شاديًا جالسًا على كرسيه ويرتدي بذلة فائقة الجمال ويتمسك جيدًا ببوكيه ورد من النوع المفضل لديها «التيوليب» ويبتسم كأنه لم يقترب منه المرض يومًا، تقترب منه وتجلس على قدميها وتلمس يديه: كل دا عشاني؟

ـ قليل عليكي يا شذى.

تقبل يديه وتحتضنه: أنا بحبك أوي يا شادي.

ينظر لدكتور محمد ويغمض جفونه ويقول: وأنا ما حبتش غيرك يا روح شادي، بس إيه رأيك، انفع عريس بالبدلة دي صح؟

تبتسم له: ما ينفعش غيرك يكون عريسي يا شادي.

يقترب محمد ويقول له: مش تقدم لها الهدية ولا عيد ميلادها ورد بس؟ ها؟

يضحكون ويخرج علبة من طيات ملابسه ويفتحها.

تنظر إليها فتجدها خاتم قلب صغير داخل قلب كبير مكتوب عليه (شادي)، داخل تلك العلبة القطيفية.

يقبل يديها: تقبلي تكوني روحي اللي بتقويني على المرض لحد ما ربنا يرزقني بالشفا وتكوني مراتي وأم ولادي يا شذى؟

تدمع عينيها وتهز رأسها: موافقه جدًّا، بحبك.

يلبسها الخاتم ويحتضنها كأنه يخاف فقدانها.

ينظر إليهما محمد بسعادة عارمة؛ لأول مرة يشعر بالسعادة مثل الآن.

حارب السرطان بالحب؛ سيموت مهزومًا يا صديقي

تقترب فرح من جاسر وهذه الريهام وتقول: جاسر، العلاج بتاعك، قوم معايا يلا.

تنظر إليها ريهام وتقول لها بعصبية: فيه حد بيكلم أسياده بالطريقة دي؟ ما تتعلمي الأدب شوية.

تنظر إليها فرح وتبتسم: الأدب اللي أهلي علموهولي أنتِ ما تعرفيهوش، وعشان كدا مش هرد عليكي.

وتتركها وتذهب.

يتكلم جاسر بعصبية: أول وآخر مرة تكلمي فرح بطريقتك دي، يا إما ما تدخليش البيت دا من تاني، فاهمة؟

ويصرخ بصوت جهوري: أدهم.

يأتي إليه أدهم سريعًا: نعم يا جاسر؟

ـ خدني أوضتي بسرعة.

ـ حاضر.

ويقوم بـ دفع الكرسي ويتركان المكان يحترق بداخل هذه الريهام المشتعلة غضبًا.

تركتهم فرح وذهبت لغرفتها وجلست على أرضية الغرفة بجانب السرير في وضع القرفصاء تبكي وتبكي، إلى أن لمست جبينها يد حانية تمسح دموعها المالحة وتبتسم لها: ما ينفعش أكون موجود وأنتِ تعيطي يا فرح، الدنيا بتضلم وبحس

بعجزي لما بشوف كسرتك دي، ما توجعينيش.

تقترب منه وتحتضنه وتبكي كأنها تتشبث بحضن والدها الراحل: سامحني يا جاسر، والله ما أقصد، بس غيرت عليك واتوجعت من كلامها، حسيت إنك مش من حقي.

يربت على رأسها: لو مش من حقك تفتكري هكون من حق مين؟ أنا بحبك من أول ما شفت عنيكي بتضم عيني أول يوم جيتي فيه يا فرح، ما شفتش في عنيكي عطف ولا شفقة، شفت حب بيضمني، ما اعرفش ليه حسيت إن أمي لسه عايشة، أنا حييت بيكي أنتِ من يوم ما شفتك، ربنا بعتك ليا عشان ما افضلش طول عمري ميت، يا فرح أنتِ القلب اللي بيدق جوايا وخلاني أعيش، ما عاش ولا كان اللي يوجعك طول ما أنا عايش، يا فرح أنتِ مني، يعني حمايتك وزعلك وفرحتك ملزومين مني، وأنا عمري ما هقبل بوجعك تاني، واعرفي وصدقي إن أي حد مهما كان بالنسبة ليا لو هيوجعك ما يلزمنيش، يا فرح أنتِ الحياة، والحياة أنتِ، مش عاوز غيرك، اكتفيت بيكي وليكي.

تخرج فرح من حضنه لا تصدق ما تسمعه أذناها، تسرح في احتواء عينيه وتهمس بخفوت: أقسم بالله حبيبتك وما اعرفش ازاي.

يبتسم لها: أنا هقول لك ازاي بس بعد ما أخد العلاج، عاوز أخف يا فرح، عاوز أعيش لك وأعيش بيكي، يلا يا

ممرضتي العزيزة أنتظرك.

تبتسم له: ممرضتك بتحبك، يلا بينا.

احرص دائمًا على اطمئنان من تحب لك.

يتصل كريم بغادة ويطلب مقابلتها ضروري، فتذهب إليه والخوف يجتاح قلبها، تقترب من مكانهـ تنظر إليه، يقف صامتًا ينظر للبحر بسكون يشبه الأموات، ترتجف خوفًا: كريم!

يلتفت إليها ويقول: كنت مستنيكي.وادِيني جيت، فيه إيه خضيتني؟

ينظر إليها طويلًا: تفتكري هينفع يا غادة؟

ترتعد يداها وشفتاها: هو إيه!

- اللي بقالك سنين بتخبيه وما عرفتهوش ولا حسيته غير النهاردا، ومن أجندة مكتوبة بخط إيدك والدموع على خدك كل يوم بليل.

يلتفت ويعطيها ظهره

فتدمع عيناها بخوف.

مشهد مظلم من كل النواحي، مع عزف كمانجا منسلة من بكاء العاشقين، محتَّم جدًّا على قلبيهما الفراق، وتصيبهم لعنة الاشتياق. تتمسك جيدًا بيديه خائفة أن يبتعد ويضل قلبها،

مسحت آخر دمعة كانت فاضحة لخوفها ونظرت في عينيه المرتبكة: هتسيبني؟

ما اقدرش أسيبك يا غادة، أنتِ بقيتي كل حتة فيا من بعد ما ماتت أسمهان وأنا روحي رجعت لي بيكي، وجعتك كتير جدًّا عشان ما حستش بيكي، طول عمري حب أسمهان كان عاميني، بس تعرفي؟ أنتِ جنة ربنا على الأرض، عمرك ما زعلتي ولا بعدتي ولا بطلتي تقربي وتسمعيني، أنا اتجوزت وحبيت بس ما لقيتش صديقة عمري غير فيكي، فيكي وبس يا غادة، أسمهان كانت بتقولي قدرت أكون لك حبيبة بس مش صديقة، وأنتِ أقرب صديقة ليا يا غادة، تقبلي تكوني حبيبتي ومراتي كمان؟

تضيء لمعة عينيها الخضراء كلون البحر في تايلاند وقت الصباح.

تقترب منه وتهمس في أذنيه: عشت عمري كله أتمنى بس أشوف نظرة حب في عينك يا كريم، ما بالك بقى إنك تطلب مني أكون لك زوجة؟ عارف؟ ربنا بيحبني أوي، غاب عليا اه بس فرحني بأجمل وأحلى وأقرب وأحب دعوة كنت بتمنى تكون ملكي في يوم من الأيام، أنت يا كريم.

ـ بحبك يا غادة حياتي.

ـ وأنا بحبك يا حب عمري كله.

سيعوض الله وجعك بقربك بمن تحب يومً ما، فانتظر الوقت المناسب للقاء.

ما كانش ينفع من أول مرة ابقى في صدام معاها كدا، باين إنه متعلق بيها وبيحبها، كان لازم افهم إنه سهل يخسرني عشانها، ما كانش ينفع أقلل من نفسي قدامه كدا، بس فرح دي لازم تختفي بقى.

النهاردا فيه وفد أمريكي مهم جدًّا يا ريماس؛ ركزي أوي في تفاصيل اليوم واعرفي إنه هيكون مجهد يا حبيبتي، بس معلش هنرتاح بعدين كتير بعد الصفقة دي، بس ربنا يرزقنا بيها.تربت

على كتفه: ما تقلقش يا بابا، خير إن شاء الله.

ينظر إليها طويلًا ويهمس: بحبها منك أوي.

يتورد خداها وتنظر للسكرتير الذي يجلس على بعد أمتار منهما وتقول: هشوف شغلي بقى، باي.

يضحك لتوردها ويقول: بحبك.

أهم من الوقوع في الحب هو الأمان في الحب.

تدخل ريهام إلى قصر جاسر وتنادي بصوت جهوري وتلعب في خصلات شعرها الكستنائي، يخرج على صوتها مصطفى ويقترب منها محاولًا تهدئتها: اهدي يا ريهام، وطي صوتك، جاسر هيتعصب ومش هيسكت.

تضحك بخلاعة غير لائقة للأخلاق بتاتًا: زمن السكون خلص يا درش.

تأتى فرح بصحبة جاسر وأدهم ويبدو على ملامحهم القلق.

ينطق جاسر أخيرًا: فيه إيه يا ريهام؟

تقترب منه بدلع: فيه إنك بينضحك عليك يا بيبي وأنت ولا هنا.

جاسر بنفاد صبر: اتكلمي يا ريهام فيه ايه؟

تعطيه أوراقًا بحوزتها وتقف تنظر لفرح ولملامح وجهها الخائفة، يتصفح جاسر الأوراق والشرر يتطاير من عينيه، ينظر لفرح بعصبية وألم يجتاح قلبه: يعني أنتِ هنا يا فرح عشان تاخدي ورثك من جدك الكبير وحق أمك، مش ممرضة وما بتحبينيش ولعبتي دور الملاك وصدقتك؟

تجفف فرح دموعها التي تجري على وجنتيها مجرى الدم في الوريد: اسمعني يا جاسر، أنا هفهمك.

يصرخ بها: تفهميني إيه؟ إني لعبة سخيفة بالنسبة لك؟ إني كنت مشهد في فيلم كوميدي حضرتك بتضحكي عليه؟

إني كنت أراجوز بتلعبي بيه؟ إني كنت مغفل للدرجة دي؟ إن عجزى مش شلل وكرسي وبس، لا شلل عقل كمان؟ أنتِ ازاي قدرتي تلبسي توب الملاك الرقيق وأنتِ شيطان؟ شيطاااان.

ويصرخ بـ آخر كلمة تزلزل كيانها، وتدفن روحها في قلبه الثائر لعله يهدأ ويستمع لقلبها، كم أحبته! تفيق من أمنيات لا تتحقق وتقف لها بالمرصاد: 5 دقايق ومش عاوزك في القصر تاني، فاهمة؟

تنقبض روحها وتبكي أكثر.

يصرخ بها: فاهمة؟

تتشنج أطرافها وتنطق بحروف تأبى الخروج: فاهمة يا جاسر، فاهمة.

عجبًا لنا -نحن- البشر! نصدق ما ترى أعيننا ونكذب ما يشعر به القلب!

تستيقظ حياة على تلك الأغنية، ترتشف قهوتها وتلمس قلمها الحبيب وتكتب، تلمع عيناها لتساعدها على بل حبرها كي تكتب ولا تتوقف.

صباح الود الذي كان بيننا ولم يبقَ..

والوعد الذي قطعته على قلبي وخلفته، صباح (التنهيدة) التي أحرقت أحرف ضلوعي المهمشة على قلب هش، صباح

الحنين الذي يجتاح قلبي ولم ينله، صباح الساعة التي تخبرني كل يوم أنه قد طال غيابك ولم تأتِ بعد! صباح القهوة بصوت فيروز المميز لقلبي، والتي كانت يومًا عادة لك، فبهتت على مزاجيتي وأحببتها، صباح السؤال المتواصل بداخلي كل ثانيه تمر (لماذا رحلت؟) ولم أعثر على إجابة مرضية، صباح النهايات التي كانت منذ أمس بدايات وردية، صباح الهواء الذي يقسم أنه سوف يجمد جسدي في انتظارك وتعاند معه كي يقتلني، صباح الابتسامة العفوية التي طالما أحببتها ولم تبقَ، صباح السطحيات التي لم يكن لديها سكن بيننا، والآن أخذت ملكًا لها بداخلنا. صباح البكاء الذي قام بتشقق الوجنتين إلى أشلاء وندوب، صباح صوتك الذي أميزه كثيرًا ولا أسمعه عندما أستيقظ، صباح الأمنيات التي تخبرني أنك لم تعد لي، صباح الاشتياق الذي يحارب بداخلي ولم ينتصر بغيابك الموعود، صباح الخيبات التي باتت تتراكم وتتزايد فوق قلبي وتتعايش بداخلي، صباح الصمت الذي يحب أن يخبرك أن تعود كي أتحدث مثل أمس، صباح الصلاحيات المنتهية لقلب لم يعد على قيد الحياة، لكنه يطفو على تلال اللا شيء، وسيبقى دائمًا لا شيء، وبكل وقاحة العالم أبتسم وأقول صباح الخير، ربما لم يقرأ خطابي هذا شخص ما، المنسي من الحياة.

- كل دا يحصل يا فرح وما تتكلميش؟ ازاي سكتي للبت دي تعمل كل دا؟ ازاي؟
- ما عرفتش يا ريماس ما عرفتش، شفت عنيه ندمانة على حبه ليا، حسيتني كسرته يا ريماس كسرته.
- اهدي بس وكله هيتحل، أنا هكلمه، ما تخافيش يا فرح هتفرج والله.
- مش خايفة غير من حاجة واحدة بس.
- إيه هي؟
- يعند وما يتعالجش، أنا ما صدقت يكون عنده حماس يخف بعد ما حبينا بعض، بقى يقولي بعافر عشانك، خايفة يا ريماس خايفة (وتبكي) بس دا.... تحتضنها ريماس وتربت عليها: اهدي بس.
- أنا مش هفضل في القاهرة يا ريماس، هسافر أي بلد أشتغل هناك مش هستحمل أفضل في نفس المكان وما اقربلهوش مش هقدر.أنا هكلم آسر تسافري معانا أنتِ وأدهم الغردقة تشتغلي معايا في العلاقات العامة، وأدهم يذاكر وينزل امتحانات لحد ما ننقل ورقه، إيه رأيك؟ موافقة بس أبعد.

- يصرخ القلب بعدم الترحال، ويأمرها العقل بالرحيل.

- مش هتسافر يا أدهم، وتبكي أكثر.
- يا نشوى افهميني عشان خاطري، فرح تعتبر في مصيبة، لازم نسافر لحد ما تتحل، من إمتى وأنتِ عقلك صغير كدا؟
- من ساعة ما حبيتك وبقيت كل حاجة ليا، من ساعة ما نسيت روحي فيك، من ساعة ما عيني بطلت تشوف غيرك، من ساعة ما بقيت بتذاكر لي عشان غيران عليا من أي حد من صحابنا، من ساعة ما حسيتك أبويا لما بتزعق لي لما بغلط وتاخدني في حضنك بعدها وتفهمني بالراحة، من ساعة ما شفتك يا أدهم، أنا مش هعرف أروح المدرسة والدروس وما اشوفكش هناك، مش هعرف يجي ماتش وما نروحهوش سوا، مش هعرف أذاكر يا أدهم، خدني معاك.

يتألم كثيرًا من أجلها ويحتضنها.

- ما توجعينيش بعياطك يا نشوى، والله وأنا كمان صعب عليا، بس ظروف، ادعيلي وقويني ارجع

لك بسرعة، ساعديني يا نشوى، اتفقنا نكون سوا على طول.

- تكلمني على طول، ما تقلقنيش، وتنزل يوم الجمعة زي ما متعودين أشوفك يا أدهم.
- حاضر يا حب حاضر، اهدي بس وبطلي عياط.

تبتسم له ويطمئن قلبها أنه لن يتركها ويرحل.

احتواء من تحب تقديس للعلاقة.

تشرق شمس يوم الأحد، اليوم المزعج بداخل فرح، سوف تسافر وتبتعد عن قلب ورؤية جاسر بعدما كانت لا ترى غيره.

يحتضنها أدهم طول الطريق، تنام غافلة، أو تريد الهروب من أفكارها وأوجاعها.

- ما كانش لازم تطردها من غير ما تسمعها، هي ما غلطتش إنها تقرب لك عشان حقها، وما غلطتش عشان حبت تساعدك ونسيت حقها، وما غلطتش عشان حبتك وشافت إنك مختلف عن أي حد وجعها، بس برافو يا جاسر، أثبتت إنك زيك زيهم.
- مصطفى، أنا مش حمل كلام، سيبني.

- وهي مش حمل وجع، يا راجل اعمل حساب حتى إنها كانت عايشة ليل نهار لراحتك وبس، دي لو شيطانة مش هتعمل كدا، اللي زي فرح الشياطين كفروا بيها، مش لايقة عليهم.
- مصطفى، كفاية قلت لك.
- مش كفاية، لازم ترجعها، هي الوحيدة اللي قدرت تخليك تتعالج وتخف، هي اللي حبيبتك بجد، هي اللي كانت سبب ضحكتك اللي ما شفتهاش من يوم وفاة طنط، هي اللي عملت كل دا، هي يا جاسر.
- صباح معتم لم يقترب منه ضوء الشمس لتهدئ تلك القلوب التي أفحمتها الأحزان وتركتها رمادًا يتناثر بين حبات التراب التي تطفو في الهواء بدون هوية، يقود آسر السيارة وتجلس بجانبه ريماس، أما في الخلف فتجلس من تبكي سرًّا وتصرخ وجعًا ولم يسمعها أحد.

(فرح) اسم ليس له مكان في حياتها، على الرغم من التصاقه بها أينما تذهب وأينما تكون، تتنهد بتألم، تنظر إلى أدهم النائم على كتفيها وتهمس: ما لكش ذنب غير إني أختك يا أدهم، سامحني.

تبحث في حقيبة يدها عن برواز يحتوي على صورة لها مع جاسر، تلمس وجهه بأطراف يدها ببطء كأنها تخشى أن يصرخ في وجهها ويقول لم أتحمل لمستك أيتها الفرح، تغمض عينيها في تألم، وتصمت كثيرًا حتى قال لها آسر...

تقودك مشاعرك إلى طريق مظلم يخيفك فيه صرير السكون وضجر الحبيب.

لم تغفُ عيناه منذ آخر نظرة له في وجه فرح الباكي الذي يشعره بالاحتراق، يجلس في غرفته يظل يدخن ويدخن إلى أن تأخذه ذكرياته إلى تلك السحر.

فلاش باك...

- لحد إمتى هتفضل ضعيف وعاجز بسبب موت طنط ومايسة؟ أنت موقف حياتنا وجوازنا وشغلك عشان تخاريف، اللي حصل حصل، كفاية بقى اللي ضاع.
- ينظر إليها في غضب: أنتِ ازاي تقولي كدا؟ مش طنط دي اللي كنتي بتعتبريها أمك وبتتمني ترضى عنك؟ ومايسة اللي كانت أقرب صديقه ليكي! دلوقتي سهل تنسيهم يا سحر؟

- مش هنموت على حد مات، الدنيا بتستمر، وأنت ما فيش خطوة جد خدتها من سنتين من ساعة خطوبتنا.
- عاوزاني اتجوز وافرح وأمي وأختي ماتوا؟ لا وكمان بسببي أنا، صح؟
- أنت لازم تعمل العملية قبل جوازنا، وأنت مركز في حاجات تافهة يا جاسر، فوق بقى.
- مش هعمل عمليات يا سحر.
- وأنا مش هتجوز واحد عاجز ما لهوش مستقبل يا جاسر، دبلتك أهي.

تخلع دبلته بسهولة وتتركها أمام عينيه على الطاولة، تتركه وتذهب بلا عودة إلى الآن.

باك...

- يااااه يا سحر، بعد كل اللي عملتهولك رفضتي تتجوزيني عشان عاجز، وأنتِ يا فرح نسيتي حقك وأهلك ودنيتك وتبتِّي في العاجز اللي من أول غلطة باعك وطردك من بيته، ما حبتهاش يا جاسر، لو حبتها ما كنتش صدقت غيرها، ما صدقتش عنيها وهي بتقولك ما تبقاش زي اللي حكيت لك عنهم، ما صدقتش بكاها وهي بتقولك ما تبعدنيش عنك، ما صدقتش ما صدقتش، غبي غبي.

كلمه يصيح بها في أرجاء البيت بصوت غاضب ويحطم كل ما تلمسه يداه ويصرخ (فرح)، يأتي إليه مصطفى سريعًا يحتضنه ويهدئ من ثورته: كفاية اهدا يا جاسر.ضيعتها يا مصطفى، بضيع كل اللي بحبهم وما بمسكش غير في اللي بايعني، سحر سابتني عشان عاجز، وفرح ما فضلتش معايا وحبتني غير وأنا عاجز، عاوز أعمل العملية يا مصطفى، عاوز أحقق لها حلمها أنها تشوفني وأنا واقف على رجليا.

ـ حاضر يا جاسر حاضر هنسافر بس اهدا.

لماذا نشعر دائمًا بالندم بعدما نضيع من نحب؟!

ـ فرح أصحي أحنا وصلنا.

تستيقظ فرح من غفوتها تنظر حولها فترى مكانًا كانت دائمًا تراه في شاشة التلفاز، كانت تتخيل أنه ليس على أرض الواقع، يقف أمامها أدهم ويرقص: أهلًا وسهلًا بك يا آنسة فرح في محافظه الغردقة الخلابة.

تبتسم له فرح وتقول: شكلها حلو أوي.

ريماس: لسه ما شوفتيهاش، هنرتاح وننزل بليل نخرج وتتفرجي عليها، وننزل شغل بكره.

فرح: تمام يلا بينا.

يرن هاتف غادة فتذهب وترى من المتصل، ترى اسمًا يضيء بـ (كريم لك أنتِ)، تبتسم لتذكرها متى أسميته بذلك الاسم.

فلاش باك...

ـ اطمني يا قلب أمك، كريم ليك أنتِ وبس أهدي.

تحتضنها أمها وتهمس غادة في حضنها: يا رب.

منذ ذلك الوقت وهي تسميه بذلك كـ حلم تريد تحقيقه بدعاء لحوح ومستمر لله.

باك...

تضغط زر الفتح: ألو.

ـ البسي وانزلي بسرعة.

تشعر بالخوف وتقول: فيه إيه يا كريم؟!

كريم: انزلي بسرعة يا غادة، يلا مستنيكي تحت.

تقترب من النافذة فترى كريمًا يجلس على سيارته وينظر إليها، تبتسم له وتقول: أنت مجنون؟ فيه إيه؟

كريم: انزلي وأنتِ تعرفي.

غادة: خالتك مش هتوافق انزل دلوقتي.

كريم: خالتي وافقت خلاص، انزلي وإلا هغير رأيي واشوف مزة تخرج معايا.

ـ لالالالا نازلة أهو.

يضحك على طفولتها المعتادة، يغلق الهاتف في انتظارها.

- ما تخافش أنا معاك يا شادي، ما تخافش.
- ما ينفعش تفضلي لبكرة يا شذى، الوقت اتأخر وطنط هتزعق لك، روحي وتعالى الصبح.
- مستحيل أسيبك؛ بكره العملية، وأنا قلت لماما إني عندك، ولو بابا سأل هتقول له إني بايتة عند ليلى.

يغمض عينيه ويفتحها من الألم، يبتسم لها: بحبك.

تضم يديه بيديها وتهمس له: بحبك أكتر.

يدخل دكتور محمد: جاهز لبكره يا بطل؟

يبتسم له شادي: طبعًا يا دكتور.

دكتور محمد: هو دا بطلنا.

شادي: ممكن يا دكتور تخلي ممرضة تبات النهاردا مع شذى عشان ما تبقاش لوحدها؟

دكتور محمد: ما تخافش؛ طبيعي تكون ممرضة مرافقة ليك قبل العملية ب 24 ساعة.

يبتسم له امتنانًا على مساعدته له.

ليس تضميد الجروح هو الدواء فقط، نحتاج كثيرًا من نحب لنشعر بالراحة.

اليوم هو أول أيام العمل لفرح، ارتسم جمود العالم على وجه يشبه الملاك، ولكن لا تعلم ما بداخل ذاك الملاك، تقف فرح على جهاز الحاسوب الخاص بها وتبدأ العمل، ولكن ليتها ما بدأت!

أول اسم في البلاي ليست للحجز الأسبوعي باسم (جاسر إمام).

ينقلب القلب رأسًا على عقب وتتزاحم الأفكار وتدمع العين، تحدث ضجة عارمة بداخلها، إلى أن تأتي إليها ريماس: فرح؟

تلتفت إليها وعيناها تفيض بداخلها دموعها.

- مالك يا قلبي فيه إيه؟
- مش قادرة أكون بعيد يا ريماس، ومش قادرة أرجع له أو أسامحه.
- لا أنا قدرانه أبقى ولا قدرانه فل.

تتنهد حياة على جملة فيروز التي تروي حكايتها من غير ولا حرف، وتخلع (الهاند فري) وتكتب:

فيروز بتفهمني أوي زي ما أكون ما ليش ونس غيرها، ويمكن تكون بتحاول تحنن قلبي عليك وتردني ليك في لحظة طايشة مش محسوبة، بعقل كفر بيك وبأيامك يا جميل، أول الشتا صعب جدًّا، بحس ببرد فظيع ما اعرفش كل الناس بردانة ولا أنا اللي الدم هرب من جسمي وساب فراغ يدخله الهوا ويجمد جسمي، ما تفتكرش إنى بشكي لك وبحكي لك زي زمان، لا أنت بس اللي على طول جوا أي كلام ما اعرفش ليه! ولا أعرف وبعاند روحي؟ اه أعرف، ازاي ما تكونش ساكن كل حرف بقوله وأنت نبض جوا قلبي مبيبطلش دق وخبط في ضلوع قلبي اللي شبعت وزهقت وملت من فراقك، لسه وقتي ما جاش في قربك؟ ولا كتير عليا أحس بيك معايا؟ مش مهم، نفس المعنى يؤدي إلى إنك ما بقتش موجود، ببعت لك سلام ووردتين وأغنية فيروز اللي بتجبرك تكون معايا في كل نبرة صوت ليها وكل دقة قلب فيا (لا أنا قدرانه أبقى ولا قدرانه فل).

ـ ٦ساعات وما حدش خرج طمني على شادي، لا مش طبيعي.

تربت على كتفها الممرضة: أهدي، فيه عمليات بتاخد أكتر من كدا، خير بإذن الله.

تجلس تقرأ القرآن وترتل آيات الله بصوت مرتجف وقلب يتمنى النجاة، تزال على هذه الحالة إلى أن يُفتح الباب ويخرج د/ محمد وعلى وجهه ابتسامة انتصار.

تذهب إليه شذى مرتجفة الأطراف: طمني، شادي فين؟

د/محمد: الحمد لله العملية نجحت، ولو أول 24 ساعة عدوا على خير نبقى كدا انتصرنا يا شذى.

قبل أن يكمل كلمته الأخيرة تطأطئ شذى جسدها ساجدة لله شكرًا على نجاة من تحب.

تتذوق الفراق وكأنك تتذوق نارًا تحرق جسدًا كاملًا، ولن يرى احتراقك أحد.

ـ صباح الخير.

كلمه تنطق بها فرح وهي تبتسم لـ مروة زميلة العمل، تنظر إليها مروة وعلامات التعجب تعلو وجهها.

ـ صباح النور يا فرح، مالك يا حبيبتي؟

ـ تمام أهو، مالي؟!

ـ لا أصل مش عادتك تصبحي وتضحكي كمان.

تبتسم فرح ابتسامة خفيفة قبل أن تنطق فرح بكلمتها تقاطعها ريماس:

ـ فرح، عاوزاكي بسرعة.

- فيه إيه يا بنتي؟ قلقتيني.

تصمت ريماس وتبتسم: مش عارفة أخلص ملفات الحجز بتاعة الشهر دا، اعمليهم أنتِ.

- حرام عليكي يا شيخة وقعتي قلبي.
- سلامة قلبك يا حيلو أنت.
- رايقة أنتِ يا عروستنا، ها؟
- بس بقا أفرح، بتكسف، الله.
- يوغتي، من إمتى؟
- مش عارفة، من يومين تقريبًا.
- لو ما كناش في شغل كنت خليت أدهم عمل فيكي مقلب.
- لا إلا هو، بس قولي لي بتحلوي ليه؟ وخصوصًا النهاردا!عادي، ٤ شهور يا ريماس بتأقلم وبهدا وبفهم، ولازم أعيش وارجع تاني زي الأول، ما ينفعش اتكسر وأنا في رقبتي أدهم، ما ينفعش.
- صح كدا، ربنا يفرح قلبك.
- يا رب، ويتمم فرحك على خير يا قلبي.
- ثواني وجاية.
- ما عرفتش أقولك يا فرح، مش بعد ما بقيتي كويسة هوجعك وأقولك، ما ينفعش، بس في نفس الوقت هو محتاج لك وهو بيعمل آخر

عملية، دي صعبة أوي ونسبة النجاح فيها قليلة، محتاج دعاكي، يا رب حلها من عندك يا رب.

أنا لحبيبي وحبيبي إلي

يا عصفورة بيضا لا بقى تسألي

لا يعتب حدا.. ولا يزعل حدا

أنا لحبيبي وحبيبي إلي.

- شذى بصوتها الحلو بتغني لي كمان؟ لا كتير.
- ونسيت كمان قاعدين ع البحر في عز التلج أول ديسمبر و ٢٠١٦ أول يوم فيها خطوبتنا، بذمتك فيه أجمل من كدا؟
- ما فيش أجمل منك يا شذى، جايز ربنا حطني في ابتلاء عشان يختبر صبرنا وحبنا لبعض، وسبحان الله، لو عمري كله دورت على بنت مش هلاقي زيك، ومش عاوز لو لقيت أصلًا غيرك.

- فتحت عيني لقيتك يا شادي في كل حاجة، ما ينفعش أكون بعيد وأنت اللي على طول سند ليا، في ضهرك على طول مش هسيبك.
- عارفة نفسي في إيه؟
- تؤ، في إيه؟
- بصي كدا.

تنظر إلى ما يشير إليه، ترتفع أقدامها من على الأرض رويدًا، تنظر لشادي، يعانقها ويدور بها ويصرخ بكلمة واحدة: بحبك.

لا مكان للحب بدون جنون يسرق لحظات سعادة لن تتكرر.

- عاوز أشوفها يا مصطفى.
- حاضر يا جاسر حاضر.
- خايف أموت وتكون لسه زعلانة مني، عاوز أشوفها مرة واحدة بس، ولو هموت موافق.
- بعد الشر، لعله خير يا صاحبي، هدور عليها.
- ٤ شهور ما اعرفش عنها حاجة، ٤ شهور بعيد عن روحي، ٤ شهور بدور عليها في كل مكان، ٤ شهور ميت قبل ما الموت يزورني، عارف إني

جرحتها وما استاهلش تسامحني يا مصطفى، بس أشوفها بس حتى لو هتضربني وتسيبني تاني، بس ألمحها، هي طيبة وهتسامحني يا مصطفى، ما ينفعش فرح ما تسامحش، صح؟

- صح يا صاحبي، ارتاح أنت وأنا هدور عليها.
- يا رب تلاقيها يا مصطفى، دي آخر عملية، ونسبة الخطر فيها ٦٠٪، يا أقوم واقف على رجليا يا ما اقومش خالص، لو مت قلها تسامحني وإني كنت غبي وما حافظتش على حبها، قلها جاسر الدنيا خبطت فيه بزيادة، ويوم ما وجع وجعك أنتِ يا فرح وكان سبب بعدك عنه، قلها إني غبي يا مصطفى، قلها إني بحبها وما حبتش زيها، قلها تسامحني قلها.
- هقول لها حاضر، ارتاح بس.

ندعى بخشوع أن يرزقنا الله قلبًا نحبه، وعندما يرزقنا به نتركه!

- النهاردا يوم خيال يا أدهم، مش مصدقة إنك نزلت يوم لوحدك.
- كنت عاوز أشوفك أتجننت وجيت لك.

- بحب جنانك جدًّا
- وأنا بحبك.
- بس أزاي فرح ما نزلتش معاك؟
- أشمعنا!
- جاسر في المستشفى من شهر، عمل عملية والحمد لله نجحت، وتاني عملية بعد يومين، بس نسبة الخطر فيها كبيرة.
- بتقولي إيه؟ أنا ما اعرفش، وفرح أكيد ما عرفتش، أنا لازم ازوره لازم.
- ما ينفعش؛ هو بيدور على فرح، ولو روحت له هيعرف هي فين.

تجلس فرح تتصفح الجرائد لأول مرة على غير عادتها لكنها تشعر بالملل، تقرأ أخبار النجوم وتنبهر بفساتين السهرة وتضحك تارة على (أفشات) الأفلام، تتحجر دمعة في مقلة عينها عندما وقعت عيناها على خبر كاد أن يتوقف منه قلبها (غدًا آخر عملية لرجل الأعمال جاسر عبد الرحمن، وتُعد أهم وأخطر عملية يقوم بها منذ الثلاثة أشهر الماضية، ندعوا له بالشفاء العاجل).

ـ مالك يا ريماس فيه إيه؟

مش متطمنة يا آسر، مش عارفة أقول لفرح، وفي نفس الوقت ما ينفعش ما اقولهاش، دي ما صدقت تضحك وترجع كويسة، مش هتغفر لي لو برضه خبيت عليها يا آسر.

ـ قبل أن تكمل كلمتها يتكلم

آسر: فرح عرفت يا ريماس، عرفت.

سألوني الناس عنك يا حبيبي.. كتبوا المكاتيب وأخدها الهوا.. بيعز علي غني يا حبيبي.. ولأول مرة ما بنكون سوا.

تخشى العالم وتخشاه، توافقها على خوفها دموعها التي تنساب على وجهها، تلمس القلم بيد مرتجفة وتعطي الحبر حريته لينطلق ويكتب بنزيف قلبها، (ما عدنا، ما عدنا متل زمان.. عم بشتاق لك وبقولك.. ما بتشتاق لمحبوبتك اللي صغيرة) بالطبع لا تشتاق لي،

النهاية تقترب مني وأنت ما زلت تعاند وتبتعد عني (ما راح نلتقي)؟

ـ حياة بدونك ما فيها حياة!

تقف تتابع الجهاز بخوف وشغف العالم بداخلها، وترجو ألا يستقيم هذا الخط اللعين.

منذ ساعتين وأعصابها تنهار مع كل ثانية تمر، وأخيرًا لا تقوى على التحمل فتنهار في الأرض باكية ساجدة تصلي وتدعو الله أن يفيق جاسر وألا يصيبه مكروه.

ـ كان نفسه يشوفك أوي قبل ما يدخل العمليات يا فرح.

تفيق على صوت مصطفى، تنظر إليه باكية: يقوم بالسلامة دا المهم، بس ادعي له يا مصطفى ادعي له.

تمر ساعة تلو الساعة والقلق ينهش قلب فرح، إلى أن يخرج الدكتور من غرفة العمليات، تهرول سريعًا إليه فرح بصحبة مصطفى.

ـ خير يا دكتور؟ طمني.

يبتسم لها ويقول: الحمد لله، معجزة يا جماعة، العملية نجحت وجاسر صحته كويسة جدًّا على الرغم من صعوبة العملية في أول ساعتين، بس ربنا كريم، هيتنقل غرفة خاصة وتقدروا تشوفوه، بس الصبح على ما يفوق، عن إذنكم.

مصطفى: الحمد لله، شكرًا جدًّا يا دكتور.

فرح: الحمد لله والشكر لله.

مصطفى: يلا بينا ندخله نقعد معاه.

فرح بتوتر: لا أنا هدخل اطمن عليه قبل ما يفوق وهفضل للصبح لحد ما اطمن عليه وأسافر.

مصطفى: أنت مش عاوزاه يشوفك؟ معقول يا فرح هتمشي؟

فرح: نصيب يا مصطفى نصيب.

تصاب القلوب بصدمة البعد عندما تتلاشى أضواء البدايات، وتتضح الحقيقة في أزمات الاستمرار، احذر الوقوع في بئر التخلي.

في صباح يوم جديد يقف جاسر في مكتبه يتحدث في الهاتف وينظر إليه مصطفى بثبات وتركيز عندما تفوه جاسر بجملته الأخيرة: عرفت مكانها يا أحمد بجد؟

يغلق جاسر الهاتف ويسرع بالخروج مهرولًا.

بقالك أسبوعين ما بتبطليش عياط وزعل، طيب لو هتكوني كدا ليه سيبتيه يا فرح ورجعتي؟ ليه؟

تنظر إليها من بين دموعها: عشان وجعني يا ريماس، وجعني، ما كانش ينفع أفضل موجودة؛ جاسر وجعني وهو بذات ما كانش ينفع يوجع، هو لا.

- هتعملي إيه يا فرح؟ مش كفاياكي وجع بقى؟
- هتمشى على البحر يا ريماس.

تتركها فرح وتذهب نحو الأمان، الصديق الذي يستمع لكل شيء تقوله بدون أن تتفوه بكلمة واحدة.

تجلس على صخرة قريبة من الشاطئ وتظل تبكي وتنظر للبحر، ولأول مرة تنظر إليه فيها تتحدث بصوت مسموع ولا تخشى أن يستمع إليها أحد، لقد مل الصمت من الصمت.

- كنت بقول عوض ربنا ليا فيك يا جاسر، سيبت عمري كله يتنسي على الرغم من إن الوجع كان حافر ندوبه على كل شبر في جسمي ومشوه منظري، رميت قلبي جواك وما خفتش يتجرح، كتبت تاريخ ميلادي يوم ما خطيت باب بيتك، ليه يا جاسر توجعني؟ ليه؟ ليه؟
- عشان أقسم بالله حبيبتك يا فرح.

تفتح فمها من صدمتها وربكتها وكل ما يدور في عقلها، هل جُننت به حتى أسمع صوته؟

تنظر حولها فترى جاسرًا وراءها ينظر إليها بتفحص وكأنه يخشى فقدانها، تذهب إليه وتقف أمامه وجهًا لوجه وعيناها تخشى الصمت فتبكي، يقترب منها ويضم وجهها بيديه ويلمسها برفق وحب وينظر في عينيها ويتفوه بكلمة واحدة: تتجوزيني؟

ترفع رأسها له غير مصدقه ما يحدث لها.ردي عليا.قلت إيه؟

ـ تتجوزيني يا فرح؟

تبتسم له: اه اه.

ـ موافقة؟!

ـ موافقة يا جاسر.

ـ بحبك يا أغلى فرح في حياتي.

ـ وأنا كمان بحبك.

تضيء الأضواء ببريق يخطف الأعين، وديكور خلاب ودرج طويل تقف على تلاله عروس تلمع عيناها وكأنها لم تفرح من قبل، ترتدي فستانًا أبيض وكأن الملكة ديانا تُتوج يوم عرسها، ويقف أسفل الدرج عريس يرتدي بذلة وكأنه نجم سينمائي.

يعزفون أجمل مقاطع عمر خيرت، تنزل إليه فرح فيبتسم لها وتتشابك الأيادي ويذهب بها للكوشة، تظهر عروس أخرى في أبهى فستان وتشبك يديها في يد عريسها وتذهب معه.

يجلسون ويتحدث جاسر أخيرًا:

- معقولة بقيتي ملكي يا فرح؟
- طول العمر ملكك يا قلب فرح.
- فرح روح بتتنفس جوايا وبيها بعيش.
- جاسر حياة ربنا رزقني بيها جوا كون مطفي ما فيهوش نور.
- بحبك.
- الحب حبك من حبي ليك يا جاسر.
- جاسر ما لهوش وجود من غير فرح.
- فرح عايشة ليك وبيك وفيك وجواك.

نترك العروسين ونتجه لعروسين آخرين.

- صدفة حبك كان صدفة يا آسر.
- قلبي وقع أول ما خبطتك وكأنك حب من سنين مقفول عليه قلبي يا ريماس.كنت سند ربنا بعتهولى في الدنيا.
- وهفضل سندك يا أحلى هدية من ربنا ليا.

ينظر كل منهما لبعضها ويقولان في نفس واحد:

بحبك.

ـ عقبالنا بقى.

تضحك شذى على شغفه للأقبال على الزواج بها.

ـ يا رب

ـ بتضحكي؟

ـ بصراحة اه.

ـ ليه؟

ـ بحبك وأنت متبت فيا كدا يا شادي.

ـ ما ينفعش اتبت غير في شذى.

ـ قلب شذى أنت.

ـ خلاص كلها شهرين ونحصلهم وهحب فيكي للصبح.

ـ هههههه بحبك.

ـ بعشقك.

تهجم الخيبات والأحزان على حياتك وكأنها ستدوم لآخر الدنيا، ولكن يبعث الله لك طوق نجاة يبدل حياتك ويخبرك أن الله رزقك الآن بالفرح، لقد حان وقتك، لقد حان يا عزيزي اطمئن، يبعث الله لكل منا أشباههم، لا تتذمر ولا تحزن؛ يوجد نصفك الآخر وسوف يأتي إليك، فانتظر بشغف.

لوغاريتم
للنشر و التوزيع
Logarithm
Publishing & Distribution